

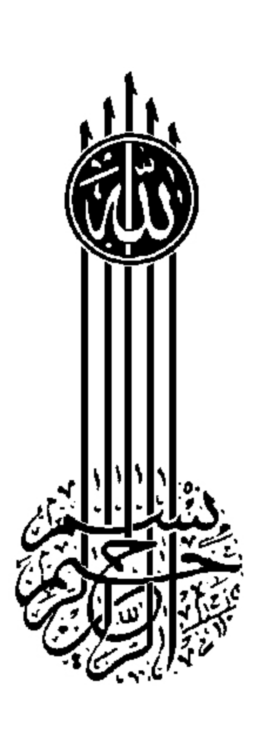
مبادرة خادم الحرمين الشريفين للحوار بين أتباع الأديان والثقافات :

المنجزات والآفاق المستقبلية

منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة ـ إيسيسكو ـ 1433هـ/2012م

رقم الإيداع القانوني : 1863 MO 2012
ردمك : 879-1899-62-965-1

التصفيف والتوضيب والسحب بالإيسيسكو
الرباط - المملكة المغربية



اعتمدها

المؤتمر الإسلامي السابع لوزراء الثقافة

المنعقد في الجزائر في شهر ديسمبر 2011م

تقديم

انبثقت عن التحوّلات العميقة التي عرفها العالم مع نهاية القرن التاسع عشر الميلادي، وفي ضوء المتغيرات المتسارعة التي شهدتها الإنسانية في مطلع الألفية، أفكار تنويرية تأسيسية رائدة حول تعزيز السلام العالمي، والسعي من أجل بناء المستقبل الآمن للبشرية، في ظل الوئام والتعايش والحوار بين الثقافات والحضارات وبين أتباع الأديان كافة.

ونظراً إلى القوة الذاتية النافذة التي تكتسيها هذه الأفكار البنَّاءة التي تستهدف إصلاح الخلل في العلاقات الدولية، وترمي إلى تقوية وشائج التقارب والتفاهم والتعارف بين الشعوب والأمم، فقد بادرت الجمعية العمومية للأمم المتحدة إلى تبني فكرة الحوار بين الثقافات، في قرار لها بجعل سنة 2001 م (سنة الأمم المتحدة لحوار الثقافات).

وبعد نحو أربع سنوات تطورت فيها هذه الأفكار ونضجت وتجاوب معها الرأي العام العالمي، تبنت الأمم المتحدة فكرة التحالف بين الحضارات، فأنشأ الأمين العام السابق السيد كوفي عنان، جهازاً لتنفيذ هذه الفكرة هو (المفوضية السامية لتحالف الحضارات).

وأمام تصاعد موجة الكراهية والعنصرية والتمييز وازدراء الأديان والتجديف ومهاجمة الرموز الدينية، كان ولابد من مبادرة تتسم بالقوة والشجاعة والتوازن، لتعزيز الحوار بين أتباع الأديان والثقافات، تفتح المجال على الصعيد الدولي، لحركة إنسانية من خلال تعزيز قيم الحوار ونشر ثقافة السلام عن طريق الحوار بين أتباع الأديان والثقافات.

وقد جاءت (**مبادرة خادم الحرمين الشريفين للحوار بين أتباع الأديان والثقافات**) في الوقت المناسب الذي يتطلع فيه العالم إلى جهود دولية للإنقاذ من الأخطار التي تتهدّد استقرار المجتمعات الإنسانية من جراء استفحال ظاهرة الكراهية والعنصرية والعداء، وتفاقم حالة الاضطراب في العلاقات الدولية نتيجةً لاتساع مساحات بؤر التوتّر في عديد من المناطق، خصوصاً من العالم الإسلامي.

ولقد تبلورت مبادرة خادم الحرمين الشريفين للحوار بين أتباع الأديان

والثقافات في الواقع ومرت بمراحل ثلاث تتمثل في ثلاثة مؤتمرات؛ أولها : (**المؤتمر الإسلامي العالمي للحوار**) المنعقد في مكة المكرمة في شهر يونيو سنة 2008م، وثانيها: (**المؤتمر العالمي للحوار**) المنعقد في مدريد في شهر يوليو سنة 2008 م، وثالثها: (**الاجتماع رفيع المستوى للحوار بين الأديان والثقافات والحضارات**) المنعقد في مقر الأمم المتحدة في نيويورك خلال شهر نوفمبر سنة 2008م. وقد أفضت هذه المراحل الثلاث إلى التفكير في إيجاد صيغة عملية لتنفيذ المبادرة. وجاء إنشاء (**مركز الملك عبد اللّه بن عبد العزيز العالمي لحوار أتباع الأديان والثقافات**) في ڤيينا في شهر أكتوبر سنة 2011م، تجسيداً لهذه الصيغة، وتعبيراً عن الإرادة الدولية الخيّرة الهادفة إلى الاستفادة القصوى من مبادرة خادم الحرمين الشريفين، مما يجعلها وسيلة لتعميم الحوار الحقيقي على شتّى المستويات بين المؤمنين في هذا العالم والمنتمين إلى الثقافات والحضارات الإنسانية ذات التنوّع الخلاق.

وتأكيداً على تفعيل هذه المبادرة على نطاق دولي واسع، وتشجيعاً على البحث العلمي في قضايا الحوار وعلى الجهود المتميّزة التي تبذل في هذا المجال، أعلن عن تأسيس (**جائزة الملك عبد اللّه بن عبد العزيز العالمية للحوار الحضاري**)، وأنشئ في اليونسكو (**برنامج عبد اللّه بن عبد العزيز العالمي لثقافة الحوار والسلام**)، مما يعدُّ توسيعاً لمجال هذه المبادرة الرائدة، وترسيخاً للقواعد التي قامت عليها، وتعزيزًا للأهداف الإنسانية النبيلة التي تسعى إلى تحقيقها، إسهاماً من المملكة العربية السعودية في إقرار السلام العالمي وفي إشاعة قيم التسامح والوئام ونشر ثقافة الحوار والسلام.

وحيث إن هذه المبادرة هي ذات إشعاع عالمي، وتمثل خير تمثيل رؤيةَ العالم الإسلامي إلى قضايا الحوار التي باتت تطرح نفسها في المحافل الدولية، وحرصاً على تعزيز هذه المبادرة على صعيد العالم الإسلامي، فقد حرصت المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة ـ إيسيسكو ـ على أن تقدم إلى المؤتمر الإسلامي السابع لوزراء الثقافة، الذي عقدته الإيسيسكو بالتعاون مع منظمة التعاون الإسلامي في الجزائر العاصمة في شهر ديسمبر سنة 2011م، وثيقة دراسية تحليلية تفسيرية حول مبادرة خادم الحرمين الشريفين للحوار بين أتباع الأديان والثقافات، تناولت أبعادها الدينية والثقافية والحضارية والإنسانية، في إطار رؤية شمولية، وفي ضوء معطيات الحضارة الإسلامية وتصوّراتها للحوار ومبادئه في التعاون والتعارف بين الأمم والشعوب ومن

خلال استشراف آفاقها المستقبلية. وقد ناقش المؤتمر هذه الوثيقة، ثم اعتمدها في قرار له، وكلف المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة بمتابعة تنفيذ التوصيات الخاصة بها.

ويسعد المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة أن تنشر هذه الوثيقة في كتاب واحد باللغات الثلاث العربية والإنجليزية والفرنسية، إسهاماً منها في التعريف الموسع بهذه المبادرة التاريخية الرائدة، وحرصاً على تقديمها إلى الجمهور العريض من الباحثين والدارسين والأكاديميين والإعلاميين والقيادات الدينية والنخب الفكرية والثقافية.

واللَّه الموفق وهو الهادي إلى سواء السبيل.

د. عبد العزيز بن عثمان التويجري

المدير العام للمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة

تتناول هذه الوثيقة " **مبادرة خادم الحرمين الشريفين للحوار بين أتباع الأديان والثقافات**"، سواء من حيث الخطوات التي تم قطعها في إطار تفعيل المبادرة، أم من خلال البرامج والآليات التي ينبغي وضعها من أجل ضمان استمرارها وتطويرها وتفعيل مضامينها.

أما فيما يخصّ الجهود المبذولة من أجل التعريف بالمبادرة والترويج لها، فإن الوثيقة تعرض لأهم مضامين "**مبادرة خادم الحرمين الشريفين للحوار بين أتباع الأديان والثقافات**" التي تبلورت في المؤتمر الإسلامي العالمي للحوار، المنعقد في مكة المكرمة في يونيو 2008م، وأهم نتائج المؤتمرات والندوات الدولية والملتقيات الفكرية والثقافية التي تمحورت حولها، وبخاصة "**المؤتمر العالمي للحوار**" المنعقد في مدريد، في يوليو 2008 م، و"**الاجتماع رفيع المستوى للحوار بين الأديان والثقافات والحضارات**" المنعقد في مقر الأمم المتحدة في نيويورك، في نوفمبر 2008 م.

وأما فيما يتعلق بالسبل الكفيلة بضمان استمرار "**مبادرة خادم الحرمين الشريفين للحوار بين أتباع الأديان والثقافات**" وتفعيلها، فإن الوثيقة تجلي عدداً من الشروط التي ينبغي تحققها حتى يتأتى للمبادرة أن تترجم واقعاً ملموساً وثقافة معيشة، ذلك أن بناء عالم مؤمن بالتعايش على أسس راسخة كالعدل والحق والمساواة والأمن والسلام، يمر بالضرورة عبر حوار هادف بين أتباع الأديان والثقافات يضع نصب أعينه سعادة الإنسان وأمن العالم وتعزيز المشترك الإنساني. وحتى لا تظل منتديات الحوار وملتقياته ومؤتمراته مجرد ترف فكري يجمِّل فيها كل طرف صورته الدينية أو الثقافية أو السياسية أمام الرأي العام، فإن جميع القوى الساعية إلى بناء السلم العالمي مطالبة بوضع آليات كفيلة بضمان استمرارية هذه المبادرة وتطويرها وتحقيق أهدافها وتفعيل مضامينها حتى تصبح ثقافة متجذرة في عقليات الشعوب وسلوكها، فتخلصها من إرث الاحتراب والصراعات التاريخية ومن إسار الصور النمطية المرتهنة للأحكام المسبقة والمقولات الجاهزة، بما يتيحه حوار الأديان من فرص الالتقاء على قاعدة "**الكلمة السواء**"، وبما يجعل من التواصل بين الثقافات جسراً نحو تعزيز المشترك الإنساني وتحقيق السلم العالمي.

وإذا كنا نؤمن بأن الحوار حتمي ولا محيد عنه، فإن هذا التبني لخيار الحوار لا يعني الخضوع لنمط واحد من أنماط الحياة أو لنموذج من النماذج الحضارية والقضاء

على ما سواه، وإنما يتطلب مراعاة خصوصيات الشعوب واحترام ثقافاتها. وحيث إن الحوار لا يمكن أن يتم إلاَّ بين جهات تسعى، على اختلافها، إلى تحقيق غايات وأهداف مشتركة، فإن نجاح "**مبادرة خادم الحرمين الشريفين للحوار بين أتباع الأديان والثقافات**" يقتضي وضع برنامج عملي لتنفيذ ما جاءت به المبادرة مبني على المعرفة والاعتراف والتعارف، فمن لا يعرف إلاَّ ثقافته ولا يعترف إلاَّ بقيَمه ولا يتبنى منهج التعارف مع غيره، لا يمكنه أن يكون طرفاً مؤهّلاً ليكون شريكاً فاعلاً في حوار حقيقي بين أتباع الأديان والثقافات.

ولأن الحوار لا يكون إلاَّ بين الأنداد، فإنه لابد للأمة الإسلامية من استثمار قدراتها وإمكاناتها الكامنة حتى تكون في موقع قوة يؤهلها للحوار مع الآخر حواراً فاعلاً مثمراً لا يفرض فيه القوي شروطه على الضعيف، فعالم العولمة لا يعترف بسلام تقرّه المبادئ، وإنما بسلام تفرضه القوة، والمثَل الروماني القائل «من أراد السلام فليتهيأ للحرب» ما زال يتردّد بقوة في العلاقات الدولية التي تضبط بعض القوى الكبرى إيقاعها وفق ما تمليه مصالحها.

وفي هذا الإطار، فإنه لا إمكانية لنجاح مبادرات الحوار مع الغير دون الحوار مع الذات، لأن العلاقة غير السوية مع الذات تنعكس سلباً على العلاقة مع "الآخر"، وهو ما يعني أنه لا بد للمجتمعات الإسلامية من تحصين جبهتها الداخلية عبر الأخذ بأسباب القوة، وذلك بإطلاق الطاقات الإبداعية للإنسان، وتفعيل التكتلات الإقليمية وتقسيم العمل الإقليمي بين الأقطار الإسلامية، وهذا ما لن يتأتى إلاَّ عبر اعتمادها على شبابها بوصفهم صناع مستقبلها وسلاحها الأقوى والأنجع في معركة رفع التحديات الحضارية، وذلك بتمكينهم من حقهم في المشاركة الحقيقية في رسم التوجهات المصيرية لبلدانهم على المستويات المعرفية والتربوية والتعليمية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، وتوفير المناخ الملائم لإبراز قدراتهم وإمكاناتهم وإبداعاتهم عبر إعلاء صروح الحق والعدل والحرية والقيام بالإصلاحات السياسية وتحقيق العدالة الاجتماعية والاعتراف بالحق في الاختلاف واحترام الرأي الآخر وإقرار قيم التنوع الثقافي والتعددية، وهي متطلبات ضرورية من شروط تحقيقها التحلي بالجرأة اللازمة للعمل على إصلاح واقع الحال من أجل ضمان المستقبل والمآل، الأمر الذي سينعكس إيجاباً على قدرة العالم الإسلامي على الانخراط الإيجابي في سيرورة العولمة والتأثير على موازين القوة العالمية وتوجيه بوصلة الحوار بين أتباع الأديان

والثقافات نحو مسارات تكفل خدمة صالح الإنسانية، وتدرأ آفات عقدة التّمركز وعقيدة الهيمنة وتحول دون استمرار احتكار القوى الكبرى للسلطة السياسية والموارد الاقتصادية العالمية، وذلك بتأسيس نظام عالمي متعدد الأقطاب يقوى فيه العالم الإسلامي بقيم دينه السامية ووحدة صفه الضرورية وتكامل مصادر قوته الفعلية، ليكون أحد هذه الأقطاب الدولية الفاعلة القادرة على الولوج بجدارة إلى فضاءات الحوار البناء بين أتباع الأديان والثقافات، وهذا ما سيهيئ لمبادرة خادم الحرمين الشريفين للحوار بين أتباع الأديان والثقافات أسباب النجاح ويكسبها القدرة على الاستمرار وتحقيق الأهداف الإنسانية النبيلة التي سطرتها والمساعي الحميدة التي كانت وراء إعلانها، وبخاصة إذا ما تكامل العمل على تفعيلها مع الجهود الدولية في هذا الإطار، والساعية إلى تعزيز الحوار بين أتباع الأديان والثقافات، والتواصل والتعارف بين الشعوب، والتآلف والتحالف بين الحضارات، وفي مقدمتها مبادرة الأمم المتحدة للتحالف بين الحضارات، وجهود دولة قطر من أجل تعزيز الحوار بين الأديان، وجهود اليونسكو والإيسيسكو في مجال تحقيق التقارب بين أتباع الأديان وتعزيز التواصل بين الشعوب والتلاقح بين الثقافات والحوار بين الحضارات.

لقد شهدت نهاية القرن العشرين وبداية الألفية الثالثة أحداثاً كبرى غيرت مجرى التاريخ، وبخاصة فيما يتعلق بالعلاقات بين الشعوب والأمم. فبانتهاء فترة الحرب الباردة، انتهت مرحلة الاصطفاف الدولي بين معسكرين تناقضت مصالحهما وأهدافهما وسياستاهما وأيديولوجيتاهما، وطفا على السطح نظام دولي جديد اعتبره بعض المفكرين والسياسيين إيذاناً بانتصار مظفر لليبرالية واقتصاد السوق، فراح يدبج خطابات المظفرين معلناً عن الانتصار الحاسم لنموذج حضاري على غيره من النماذج الحضارية ومؤكداً نهاية التاريخ ووقوف سيرورته وصيرورته عند عتبة نظام الأحادية القطبية في عالم ما بعد الحرب الباردة، في حين عمد بعض آخر إلى التنظير لحرب حتمية بين الأفكار والأيديولوجيات جاعلاً الاختلافات الثقافية وقوداً لمستقبل مأزوم محكوم بالصدام بين الحضارات.

ولما كانت التعددية الثقافية مصدر غنى للحضارة الإنسانية، باعتبار أن إقرارها يعزّز التفاعل بين الثقافات ويكفل الاحترام المتبادل بين الشعوب ويضمن التعايش بينها ويحفظ مصالحها المشتركة ويعزّز المشترك الإنساني ويحقق السلم العالمي، فقد انبرى العقلاء والحكماء، على اختلاف ثقافاتهم وأديانهم ومعتقداتهم

وانتماءاتهم وتوجهاتهم، إلى نقد أطروحة صدام الحضارات وتقديم الدليل على تهافتها واقتراح بديل عنها. ولم يكن من قبيل المصادفة أن تأتي معظم المبادرات في هذا الإطار من العالم الإسلامي، المتشبع بثقافة إسلامية أصيلة تحث على الحوار والتعايش والسماحة والتعارف، مصداقاً لقوله تعالى : ﴿ **يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند اللّه أتقاكم، إن اللّه عليم خبير** ﴾[1] وتؤمن بالتنوّع والتعدّدية والاختلاف سنناً كونية، مصداقاً لقوله جل وعلا: ﴿ **ولو شاء ربّك لجعل الناس أمة واحدة، ولا يزالون مختلفين إلاّ من رحم ربّك، ولذلك خلقهم** ﴾[2]، ولقوله سبحانه : ﴿ **لكلّ جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً ولو شاء اللّه لجعلكم أمة واحدة ولكن ليبلوكم فيما آتاكم فاستبقوا الخيرات إلى اللّه مرجعكم جميعاً فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون** ﴾[3]، ولقوله عزّ وجل : ﴿ **ومن آياته خلق السماوات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن في ذلك لآيات للعالمين** ﴾[4].

وهكذا توالت الدراسات والمؤلفات والندوات والمنتديات التي تفند الطرح الهنتغتوني وتدحض المزاعم بشأن التهديد الإسلامي للمنظومة الغربية. وكان لا بد لهذه المواقف أن تجد حاضنة سياسية تتبناها وتقدمها إلى المجتمع الدولي بوصفها الرد العملي للدول الإسلامية على أطروحة صدام الحضارات وسياسات التخويف من الإسلام والإسهام الفعلي للعالم الإسلامي والثقافة الإسلامية في إرساء قواعد راسخة للحوار بين الأديان والثقافات لتجنيب البشرية ويلات الحروب والنزاعات، فجاءت الدعوة التي وجهها الدكتور محمد خاتمي، حين كان رئيساً للجمهورية الإسلامية الإيرانية، إلى المنتظم الدولي بشأن إعلان سنة 2001 سنة دولية للحوار بين الحضارات كأول خطوة للأمم المتحدة في القرن الحادي والعشرين، على أمل أن يكون هذا الحوار خطوة أولى لتحقيق العدالة والحرية في العالم، وهي الدعوة التي حظيت بموافقة الجمعية العامة للأمم المتحدة التي أعلنت في جلستها الخامسة والثلاثين المنعقدة في الثالث من نوفمبر سنة 1998م (سنة 2001: سنة الأمم المتحدة للحوار بين الحضارات).

---

(1) سورة الحجرات، الآية : 13.

(2) سورة هود، الآيتان : 118 و119.

(3) سورة المائدة، الآية : 48.

(4) سورة الروم، الآية : 22.

واستقبل العالم سنة 2001، فاستقبل معها قرناً جديداً وألفية جديدة، كان مقرراً أن يكون عامها الأول عام "**الحوار بين الحضارات**"، لكن الديمقراطية البينية في العلاقات الدولية استمرت في اختلالها، وسلطات الاحتلال الإسرائيلي لفلسطين واصلت حصد أرواح ضحاياها دون أن تتدخل القوى الكبرى لوقف عدوانها، واستمر حصار العراق وما ترتب عليه بسبب نقص الغذاء والدواء، وضاعفت العولمة من وتيرة سرعتها وآليات عملها، محطّمة عناصر الممانعة لدى العالم الثالث ومعمِّقة مشكلاته ومعاناته. ثم جاءت هجمات الحادي عشر من سبتمبر سنة 2001م، فأعادت أطروحة "**صدام الحضارات**" إلى الواجهة، وتعالت الأصوات محمّلة الدين الإسلامي مسؤولية تصرفات نسبت لبعض أتباعه، وأصبح "الخطر الأخضر" أكثر المواضيع إثارة للاهتمام، وواصلت الأوساط السياسية اليمينية الغربية المتطرفة وبعض وسائل الإعلام الغربية حملتها الدعائية ضد الإسلام والمسلمين مروجة لظاهرة الإسلاموفوبيا، واحتدم النقاش من جديد حول العلاقة بين العالمين الإسلامي والغربي خصوصاً، والعلاقات بين أتباع الأديان والثقافات بوجه عام.

وبغية رفع هذه التحديات، سارعت المجموعة الدولية إلى احتواء الأزمات التي تهدد السلم العالمي، فتعززت مبادرة حوار الحضارات بمبادرات موازية كان أهمها إعلان مبادرة تحالف الحضارات التي اعتمدتها الأمم المتحدة وخصّصت سكرتارية خاصة لها وسطرت برامج لتنفيذها فانخرطت الدول الأعضاء في الأمم المتحدة والمنظمات الإقليمية والدولية من أجل وضع آليات تفعيلها وإنجاحها وتحقيق أهدافها، وهي المبادرة التي أسهمت فيها بشكل فاعل منظمة المؤتمر الإسلامي (منظمة التعاون الإسلامي حالياً) والدول الأعضاء فيها والمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة- إيسيسكو- التي تعد شريكاً أساساً للأمانة العامة لتحالف الحضارات.

وبموازاة مع هذه المبادرة، قامت دولة قطر بإطلاق مبادرة حول حوار الأديان وعقد مؤتمرات سنوية كبرى لحوار الأديان بمشاركة كبار علماء الدين المسلمين ورجال الدين المسيحيين واليهود وسياسيين ومفكرين وباحثين، وتوجت بإنشاء مركز الدوحة الدولي لحوار الأديان. ثم جاءت مبادرة خادم الحرمين الشريفين حول الحوار بين أتباع الأديان والثقافات لتعزز هذه الجهود بإضافة نوعية تمثلت في صدروها من مهد الإسلام، من الأراضي المقدسة والبقاع الطاهرة، ودعوتها لكلّ أتباع الأديان السماوية والمذاهب الوضعية المعتبرة إلى الحوار على أساس الكلمة السواء والقيم المشتركة الداعية إلى العيش المشترك.

وما من شك في أن اختيار الحوار بين أتباع الأديان والثقافات موضوعاً لمبادرة خادم الحرمين الشريفين دليل على أنه يحمل همّ إيجاد السبل الكفيلة بتحقيق التعايش الإنساني والسلم العالمي والكرامة للإنسان حيثما كان دون تمييز على أساس الجنس أو الثقافة أو الدين، بما يمكّن البشرية من بناء حضارة إنسانية أساسها التضامن والتآخي والعدل والحب والسلام.

ولذلك لفتت مبادرته الأنظار وكسبت المؤيدين والأنصار، فحج كبار المفكرين والسياسيين والقادة الدينيين إلى المؤتمرات التي عقدت للتعريف بها وحشد التأييد الدولي لها ودراسة سبل تفعيلها وإنجاحها، وكان لافتاً حضور ممثلين عن مختلف الأديان السماوية والوضعية وتجاوبهم مع المبادرة الإنسانية التي أطلقها خادم الحرمين الشريفين. ولأن الانخراط في جهود إنجاح مبادرة الحوار بين أتباع الأديان والثقافات يفترض ابتداءاً حواراً داخلياً بين أتباع الدين الواحد وأبناء الثقافة الواحدة، فقد وجهت الدعوة إلى علماء المسلمين للتداول في أمر موضوع الحوار والعلاقة بين أتباع الأديان والثقافات، سواء من حيث أسّسه وأصوله في الثقافة الإسلامية، أم من حيث موضوعاته وأهدافه وضوابطه ومناهجه ووسائله وأطرافه.

وكان المؤتمر الإسلامي العالمي للحوار، الذي انعقد في مكة المكرمة، خلال الفترة من 30 جمادى الأولى إلى 2 جمادى الثانية 1429هـ الموافق 4-6 يونيو 2008م، منتدى علمياً وفكرياً وثقافياً لعلماء المسلمين ومفكريهم، ناقشوا فيه التحديات التي تواجهها الأمة الإسلامية في ظلّ تصاعد موجات التخويف من الإسلام والتحريض ضد المسلمين والتي تغذيها نزعات الغلو والعنف والتطرف المتناقضة مع سماحة الإسلام الداعي إلى الوسطية والاعتدال والتعايش والمحبة والسلام. وقد توجت أعمال المؤتمر بإصدار نداء مكة الذي اعتبر بمثابة خريطة طريق لدور الأديان في إنقاذ الإنسان من المخاطر والأزمات التي تتهدده، وفي التأسيس لحوار بين أتباع الأديان والثقافات يعزز تعارفهم ويعالج مشاكلهم ويحقق مصالحهم ويؤهلهم لتحمل أمانة الاستخلاف الكفيلة بعمارة الأرض وبناء الحضارة. وكان من أبرز مخرجات المؤتمر تأصيله للحوار بوصفه منهاجاً قرآنياً أصيلاً وسنة نبوية درج عليها الأنبياء عليهم السلام في التواصل مع أقوامهم والتحاور مع مخالفيهم. وهذا ما يجعل الاقتداء بها شرطاً لإقامة العدل والسلام في العالم، وتشكيل رأي عام عالمي يعزز المشترك الإنساني بين الشعوب

ويتبنى قضاياها العادلة ويناصر مطالبها المشروعة في الحرية والتحرر والاستقلال، ويكون سداً منيعاً في وجه نظريات الصدام بين الثقافات والحضارات ودعاوى الحروب بين الأفكار والأيديولوجيات، بما يقطع الطريق أمام محاولات التخويف من الإسلام والتحريض عليه والهيمنة على أتباعه.

ولقد كان من النتائج المهمة للمؤتمر تأكيده على ضرورة الالتزام بضوابط الإسلام وآدابه ومنهاجه في الحوار، والذي تعبر عنه الآية الكريمة : ﴿ **ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون** ﴾[5]، وإشارته إلى أن "**الرسالات الإلهية والفلسفات الوضعية المعتبرة تمتلك من المشترك الإنساني، ما يدعو إلى الالتزام بفضائل الأخلاق، ويرفض مظاهر الظلم والعدوان والانحلال الأخلاقي والتفكك الأسري والإضرار البالغ بالبيئة البشرية والإخلال بالتوازن المناخي**"، وهي إشارة مهمة بعثها علماء المسلمين ومفكريهم إلى العالم أجمع فحواها أن الحوار المطلوب بين أتباع الأديان ينبغي أن لا يكون حواراً سجالياً حول العقائد، وإنما حوار الأساس فيه معالجة قضايا الإنسان والإنسانية، بحيث ينتقل من دائرة النقاشات اللاهوتية إلى دائرة الهموم الإنسانية والتسامح الديني والتضامن الإنساني والمصير المشترك.

والإسلام بصفته الدين الخاتم ورسالة الهدي والهيمنة والتصديق، قادر على إنقاذ البشرية من وعثاء المادية ومن براثن الأزمات الأخلاقية والاجتماعية والبيئية التي تتخبط فيها الإنسانية ﴿ **يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيراً مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير، قد جاءكم من اللّٰه نور وكتاب مبين، يهدي به اللّٰه من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم** ﴾[6]. ولذلك فإن الأمة الإسلامية مدعوة إلى الحوار مع الأمم الأخرى واستثمار الرصيد الثقافي المشترك من أجل رفع هذه التحديات وضمان مستقبل أفضل للبشرية، على أن ننطلق في حوارنا مع الآخر ـ كما أشار إلى ذلك خادم الحرمين الشريفين في كلمته التوجيهية التي افتتح بها المؤتمر ـ بثقة نستمدها من إيماننا باللّٰه، ثم بعلم نأخذه من

(5) سورة العنكبوت، الآية : 46.

(6) سورة المائدة، الآيتان : 15 و16.

سماحة ديننا، وأن نجادل بالتي هي أحسن، فما اتفقنا عليه أنزلناه مكانه الكريم في نفوسنا، وما اختلفنا حوله نحيله على قوله تعالى: ﴿**لكم دينكم ولي دين**﴾[7].

ولقد وفِّق المشاركون في المؤتمر حين أقرُّوا بأن كل الثقافات الإنسانية تمتلك رؤى وتصورات تجاه التحديات التي تهدّد الجنس البشري، وتشترك في مساعيها لتقديم الحلول الناجعة لأزماته وتجاوز التحديات التي تواجهه، بما تمتلك من التجربة الإنسانية. ولذلك فإنه لابد من حوار معمق بين أتباعها لاستثمار القيم المشتركة بينها في وضع برامج عمل مشتركة تعالج المشكلات والقضايا المعاصرة، وتحمي البشرية من عواقبها وأضرارها. وهذا هو الهدف الأسمى الذي جاءت مبادرة خادم الحرمين الشريفين للحوار بين أتباع الأديان والثقافات من أجل تحقيقه تعزيزاً للتواصل بين الشعوب وخدمة للبشرية جمعاء، وذلك بنشر ثقافة الاعتراف بالحق في الاختلاف وقبول الرأي والرأي المخالف وخلق فضاءات للحوار، ليس فقط على المستوى الدولي، وإنما كذلك على المستويين الوطني والإقليمي، فإذا كان الهدف المعلن للمبادرة هو ترسيخ ثقافة الحوار بين أتباع الأديان والثقافات، فإن ثمة ثماراً أخرى ستقطفها شعوب الأرض من هذه المبادرة، إذ ستعزّز جسور التواصل على المستويات الإقليمية وستتيح إطلاق مشاريع للحوار بين أبناء الوطن الواحد، سواء بالنسبة للدول العربية ذات الأقليات المسيحية أم بالنسبة للدول الأوروبية والولايات المتحدة الأمريكية التي تعيش على أرضها أقليات وجاليات إسلامية مهمة، وهذا ما سيكفل احترام التنوع الثقافي وإقرار الحقوق الثقافية للأقليات وتحقيق السلم الاجتماعي وبالنتيجة تعزيز السلم العالمي.

لقد أدرك علماء الأمة وعقلاؤها أهمية مبادرة خادم الحرمين الشريفين وحكمة صاحبها ونبل مقاصدها، فتلقفوا مضامين كلمة خادم الحرمين الشريفين في افتتاح المؤتمر الإسلامي العالمي للحوار وجعلوها كلمة توجيهية لمؤتمرهم، وهي التي حدّدت ـ على وجازتها ـ مكمن الداء ووصفت الدواء للعلل التي تعاني منها العلاقات بين الأمم والشعوب مع بداية الألفية الثالثة، فأصل الداء الانغلاق والجهل وضيق الأفق وبلسم الدواء الانفتاح والحوار والتعايش، وكما جاء في كلمة خادم الحرمين الشريفين : «ما أعظم قدر هذه الأمة وما أصعب تحدّياتها في زمن تداعى الأعداء من أهل الغلو والتطرف من أبنائها وغيرهم على عدل منهجها، تداعوا بعدوانية سافرة، استهدفت سماحة الإسلام، وعدله، وغاياته السامية.

(7) سورة الكافرون، الآية : 6.

ولهذا جاءت دعوة أخيكم لمواجهة تحديات الانغلاق، والجهل، وضيق الأفق، ليستوعب العالم مفاهيم وآفاق رسالة الإسلام الخيرة دون عداوة واستعداء»[8].

إنها إدانة صريحة من خادم الحرمين الشريفين للفكر المنغلق المتطرف الذي تتبناه بعض التيارات المتزمتة التي تدّعي الانتساب إلى الإسلام وهي مخالفة لسماحته ووسطيته واعتداله، وبعض الجهات اليمينية الغربية التي تشوه صورة الإسلام وتناصبه العداء وتتنكّب مبادئ التعايش الإنساني والتعدّدية الثقافية والدينية التي كان خادم الحرمين الشريفين واضحاً في تحديد سبل تحققها حين قال : « سيكون الطريق للآخر من خلال القيم المشتركة التي دعت إليها الرسالات الإلهية، والتي أنزلت من الرب ـ عزّ وجل ـ لما فيه خير الإنسان والحفاظ على كرامته، وتعزيز قيم الأخلاق، والتعاملات التي لا تستقيم والخداع، تلك القيم التي تنبذ الخيانة، وتنفر من الجريمة، وتحارب الإرهاب، وتحتقر الكذب، وتؤسس لمكارم الأخلاق، والصدق، والأمانة، والعدل، وتعزّز مفاهيم وقيم الأسرة وتماسكها وأخلاقياتها التي جار عليها هذا العصر، وتفكّكت روابطها، وابتعد الإنسان فيه عن ربه وتعاليم دينه [9].

هذه هي رسالة الأديان، وهي ذاتها الأهداف التي تتوخّى مبادرة خادم الحرمين الشريفين للحوار بين أتباع الأديان والثقافات تحقيقها، وهو ما يعني أن الطريق ستكون سالكة إلى تحقيق هذه الأهداف إن التزم أتباع كل دين بتعاليمه ومبادئه. ولذلك، فقد أكد (إعلان مكة) الصادر عن المؤتمر الإسلامي العالمي للحوار، أن من الأهداف الأساس للحوار الذي تدعو إليه مبادرة خادم الحرمين الشريفين "الإسهام في مواجهة التحديات وحلّ المشكلات التي تواجه البشرية بسبب بعدها عن الدين، وتنكّرها لقيمه وأحكامه؛ ممّا أوقعها في براثن الرذيلة والظلم والإرهاب وهتك حقوق الإنسان وإفساد البيئة التي أنعم اللّه عز وجل بها على البشرية" و"مساندة القضايا العادلة المتعلقة بحقوق الإنسان المشروعة والدفاع عنها، وتكوين رأي عام عالمي يناصرها ويهتم بها ويتعاون على تحقيق مطالبها المشروعة" و"كشف دعاوى المروجين لصراع الحضارات ونهاية التاريخ، ورفض مزاعمهم بعداء الإسلام للحضارة المعاصرة؛ بهدف إثارة الخوف من الإسلام والمسلمين، وفرض السيطرة على شعوب

(8) كلمة خادم الحرمين الشريفين في افتتاح المؤتمر الإسلامي العالمي للحوار.
(9) مصدر سابق.

العالم، وبسط ثقافة واحدة عليه"، فضلاً عن "التعريف بالإسلام وشرائعه ومبادئه الإنسانية، وما يملكه من رصيد حضاري كبير يمكنه من الإسهام الفاعل في ترشيد مسيرة الحضارة الإنسانية" و"الرد على الافتراءات المثارة عن الإسلام وتصحيح الصورة المغلوطة عنه، وعن دوله ومؤسساته في الأوساط الدينية والعلمية والإعلامية" و"التعرف على غير المسلمين وثقافاتهم، وإرساء المبادئ المشتركة معهم، مما يحقق التعايش السلمي والأمن الاجتماعي للمجتمع الإنساني، والتعاون في بثّ القيم الأخلاقية الفاضلة، ومناصرة الحق والخير والسلام، ومكافحة الهيمنة، والاستغلال، والظلم، والفساد الخلقي، والتحلل الأسري، وغيرها من الشرور، التي تهدّد المجتمعات" و"**حل الإشكالات والخصومات التي قد تقع بين المسلمين وغيرهم ممن يتشاركون معهم في الأوطان والمجتمعات بدرجتي الأكثرية أو الأقلية، وتوفير المناخ الصالح للتعايش الاجتماعي والوطني**" و"**تحقيق التفاهم مع الحضارات والثقافات الإنسانية، وتأكيد انخراط المسلمين ضمن التعدّدية الحضارية لبني الإنسان، وتوظيف هذا التفاهم لتحقيق السلام العالمي وحمايته**" إضافة إلى "**دعم التواصل بين أتباع المذاهب الإسلامية سعياً إلى وحدة الأمة، وتخفيفاً من آثار العصبية والخصومة**".

وبذلك، يمكن القول إن نتائج المؤتمر الإسلامي العالمي للحوار هي بمثابة خريطة طريق تؤكد أصالة الحوار في الثقافة الإسلامية، وتحدّد أهداف مبادرة خادم الحرمين الشريفين للحوار بين أتباع الأديان والثقافات وترسم معالم المسير نحو تفعيلها لما فيه الخير للأمة الإسلامية وللإنسانية جمعاء.

واستأثرت مبادرة خادم الحرمين الشريفين باهتمام منقطع النظير واستقطبت بفعل أبعادها الإنسانية وغاياتها السامية دعماً دولياً كبيراً تجلى في الحضور الوازن للشخصيات العالمية، من مختلف بقاع العالم على اختلاف أديانها وثقافاتها وأجناسها وجنسياتها، في المؤتمر العالمي للحوار، الذي عقد في مدريد برعاية خادم الحرمين الشريفين الملك عبد اللّه بن عبد العزيز، خلال الفترة من15.13 هـ الموافق 16-18 يوليو 2008م، الذي خاطب العالم المتوجهة أنظاره إلى المؤتمر، مؤكّداً أنه جاء إلى المؤتمر العالمي للحوار من بلاد الحرمين مهوى قلوب المسلمين حاملاً رسالة من الأمة الإسلامية تعلن أن الإسلام هو دين الاعتدال والوسطية والتسامح، رسالة تدعو إلى الحوار البناء بين أتباع الأديان وتبشر الإنسانية بفتح صفحة جديدة يحل فيها الوئام محل الصراع، ومشدّداً على أن الاختلاف لا ينبغي أن يؤدي إلى النزاع، وأن المآسي التي

مرت في تاريخ البشر لم تكن بسبب الأديان، ولكن بسبب التطرف الذي ابتلي به بعض أتباع كل دين سماوي، وكل عقيدة سياسية. وبالتالي فإنه لا مناص لشعوب العالم من الالتقاء على كلمة سواء، عبر الحوار بين الأديان والحضارات. فالإنسان قد يكون سبباً في تدمير كوكب الأرض بكلّ ما فيه، وهو قادر أيضاً على جعله واحة سلام واطمئنان يتعايش فيه أتباع الأديان والمذاهب والفلسفات، ويتعاون الناس فيه، بعضهم مع بعض، باحترام، ويواجهون المشاكل بالحوار لابالعنف، ويهزمون الكراهية بالمحبة، والتعصّب بالتسامح، والرذيلة بالفضيلة، والظّلم بالعدالة، والحروب بالسلام، والعنصرية بالأخوة البشرية [10].

ولقد كانت كلمة خادم الحرمين الشريفين مرجعاً لأعمال المؤتمر ومناقشاته، وهو ما يفسر انعكاس مضامينها في "إعلان مدريد" الذي توج أعمال المؤتمر، والذي أكد أن البشر متساوون في الكرامة الإنسانية على اختلاف ألوانهم وأجناسهم وأعراقهم وأطيافهم وطوائفهم وأديانهم وثقافاتهم، وأن الحوار بين أتباع الأديان والثقافات هو السبيل الأمثل للتفاهم والتعاون في العلاقات الإنسانية والتعايش السلمي بين الأمم، وبخاصة أن الأديان تهدف إلى تحقيق السعادة والعدل والأمن والسلام للبشر جميعاً، وتسعى إلى تقوية سبل التفاهم والتعايش والتعارف والتعاون بين الشعوب، وتدعو إلى نشر الفضيلة والقيم الإنسانية بالحكمة والموعظة الحسنة، الأمر الذي يؤهلها إلى الإسهام في تطوير القيم الإنسانية الأخلاقية، ومكافحة الجريمة والفساد والمخدرات والإرهاب، وحماية الأسرة والمجتمعات من الانحرافات.

وكان من أبرز ما حاز على إجماع المشاركين في المؤتمر الرفض المطلق لنظريات الصدام بين الحضارات والتحذير من خطورة الحملات التي تسعى إلى افتعال الخلافات بين الشعوب وتعميقها، والتي تقوض أسس السلام والاستقرار في العالم، والاتفاق على ضرورة تطوير التعاون بين المؤسسات الدينية والثقافية والتربوية والإعلامية من أجل ترسيخ القيم الأخلاقية النبيلة وتشجيع الممارسات الاجتماعية البناءة ونشر ثقافة الاحترام والتفاهم عبر الحوار ووضع قواعد عالمية للحوار كفيلة بتكريس القيم الإنسانية والمبادئ الأخلاقية التي تمثل جامعاً مشتركاً بين أتباع

(10) كلمة خادم الحرمين الشريفين في افتتاح المؤتمر العالمي للحوار في مدريد.

الأديان والثقافات الإنسانية، وذلك لتعزيز الاستقرار في العالم وتحقيق الازدهار للإنسان، وصولاً إلى تشكيل فريق عمل لدراسة الإشكاليات التي تعيق الحوار، وتحول دون بلوغه النتائج المرجوة منه وإصدار وثيقة عالمية تساعد على نشر ثقافة احترام الأديان ورموزها وعدم الإساءة إليها.

ولأنه من الطبيعي لإعلان متوافق عليه من أتباع مختلف الأديان والثقافات أن يبلغ الآفاق، فقد وجد "إعلان مدريد" طريقه إلى أروقة الأمم المتحدة لتطرح مضامينه على بساط الدراسة والتداول أمام المؤتمرات والملتقيات والمنتديات الدولية. وفي هذا الإطار، عقدت الجمعية العامة للأمم المتحدة، تفاعلاً منها مع مبادرة خادم الحرمين الشريفين، "الاجتماع عالي المستوى للحوار بين الأديان والثقافات والحضارات"، وذلك في مقر الأمم المتحدة في نيويورك، يومي 14 و15 ذو القعدة 1429هـ/الموافق 12و13 نوفمبر 2008م بحضور عدد من قادة الدول وصناع القرار. حيث أخذت الجمعية العامة علماً بمبادرة خادم الحرمين الشريفين وانعقاد المؤتمر العالمي للحوار في مدريد برعايته، داعية إلى "نشر ثقافة التسامح والفهم المتبادل عبر الحوار، وإلى دعم مبادرات القادة الدينيين والمجتمع المدني والدول لتعميق ثقافة السلام والتفاهم والتسامح واحترام حقوق الإنسان بين أتباع مختلف الأديان والثقافات والحضارات"[11].

لقد كان هذا الاجتماع نقلة نوعية في التعامل مع الجهود الدولية الرامية إلى استثمار القيم الدينية والإنسانية المشتركة في تجسير الفجوة بين الشعوب وتعزيز التواصل بينها، إذ لم يعد موضوع الحوار بين أتباع الأديان حكراً على القادة الدينيين والمثقفين والمفكرين والباحثين المتخصصين، وإنما أصبح بفضل مبادرة خادم الحرمين الشريفين، في صلب اهتمامات ومناقشات قادة وزعماء وصناع القرار في العالم، وهو ما من شأنه توسيع فضاءات الحوار بين أتباع الأديان والثقافات على الصعيد العالمي. وهذا ما بدا جلياً من خلال كلمات ملوك ورؤساء الدول الذين شاركوا في أعمال المؤتمر، حين أكدوا جميعهم على أهمية مبادرة خادم الحرمين الشريفين وقدرتها على تعزيز التعارف والتواصل بين أتباع الأديان والثقافات المؤمنين بالحوار وسيلة لتحجيم الخلافات وسبيلاً إلى التقريب بين الثقافات، بما يتيح للجميع العيش في

(11) "إعلان نيويورك" الصادر عن الاجتماع عالي المستوى للحوار بين الأديان والثقافات والحضارات.

سلام وأمن وأمان، وهذا ما أشار إليه خادم الحرمين الشريفين حين خاطب العالم من على منبر الأمم المتحدة مؤكداً أن: "**الأديان التي أراد بها الله ـ عز وجل ـ إسعاد البشر لا ينبغي أن تكون مدعاة ومن أسباب شقائهم، وأن الإنسان نظير الإنسان وشريكه على هذا الكوكب، فإما أن يعيشا معاً في سلام وصفاء، وإما أن ينتهيا بنيران سوء الفهم والحقد والكراهية**"، وحيث إن الحوار لا يعني التنازل عن المبادئ أو التفريط في الحقوق، فقد كان خادم الحرمين الشريفين واضحاً في التأكيد على الثبات على المبادئ وعلى ضرورة تحقيق العدالة بين الناس حتى تذوب الخلافات ويتأسس الحوار على أسس متينة تكفل نجاحه وتحقق أهدافه ومراميه. حيث قال في هذا الصدد: "إن كل مأساة يشهدها العالم اليوم ناتجة عن التخلي عن مبدأ عظيم من المبادئ التي نادت بها كل الأديان والثقافات، فمشاكل العالم كلها لا تعني سوى تنكر البشر لمبدأ العدالة"[12]، مؤكداً أن الحوار الذي تدعو إليها مبادرته حوار حضاري كفيل بإحياء القيم السامية وترسيخها في نفوس الشعوب والأمم، وهو ما سيمثل "انتصاراً باهراً لأحسن ما في الإنسان على أسوأ ما فيه، ويمنح الإنسانية الأمل في مستقبل يسود فيه العدل والأمن والحياة الكريمة على الظلم والخوف والفقر[13].

لقد قدمت مبادرة خادم الحرمين الشريفين الدليل على أن قيم التعايش مع المخالفين والاعتراف بهم والإقرار بحقهم في حرية الرأي والمعتقد متجذرة في الثقافة الإسلامية التي تستمد أصولها من الدين الإسلامي، ذلك أن المسلمين المهتدين بتوجيهات ربهم القائل في كتابه المجيد: ﴿ **قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون** ﴾[14]، اعترفوا منذ بدء رسالة الختم والاصطفاء والهيمنة والتصديق بالشرائع السماوية الأخرى، فكان الإيمان بنبوة رسلها شرطاً لاكتمال إيمانهم، والاعتقاد بمصدرها الرباني جزءاً من عقيدتهم، وكانوا دائماً يمدّون أيدي التعايش والتعاون والتضامن إلى أتباع كل الملل والنحل. وعلى هذا الأساس ينبغي أن نعيد الاعتبار إلى الحوار بين أتباع الأديان ونوليه العناية التي

---

(12) كلمة خادم الحرمين الشريفين في افتتاح الاجتماع عالي المستوى للحوار بين الأديان والثقافات والحضارات.

(13) مصدر سابق .

(14) سورة البقرة، الآية : 136.

يستحقها ليكون جسراً للتلاقح بين الثقافات والتواصل بين الحضارات والتعايش بين أتباع الأديان على درب تأسيس المشترك الإنساني، فمبادرة خادم الحرمين الشريفين كفيلة، إن حظيت بالاهتمام الذي هي حقيقة به، بالإسهام في تغيير واقع العلاقات الحضارية في عالم العولمة، واستنهاض همم الجميع لمحاربة محاولات التنميط والاستئصال، والتسامي على نزعات المركزية الثقافية، والإقرار بتعدد المسارات التاريخية لتشكل الحضارات الإنسانية، مثلما هي قمينة بالتأسيس لحوار ناجح بين أتباع الأديان ولتحالف مأمول بين الحضارات كفيل برفع التحديات التي يواجهها عالم اليوم. وهذا ما أدركته الدول المشاركة في الاجتماع عالي المستوى للحوار بين الأديان والثقافات والحضارات، حين عبرت من خلال "إعلان نيويورك" عن "قلقها من تنامي حالات عدم التسامح، والتمييز، وبث الكراهية، واضطهاد مجتمعات الأقليات الدينية لأيٍّ دين، وشددت على أهمية تشجيع الحوار والتفاهم والتسامح بين الناس واحترام أديانهم وثقافاتهم ومعتقداتهم المتنوعة"، وأكدت رفض "أيّ استخدام للدين لتبرير قتل الأبرياء وممارسات الإرهاب والعنف والإكراه، مما يتناقض بوضوح مع دعوة جميع الأديان إلى السلام والعدل والمساواة"(15).

كما عبرت الدول المشاركة عن "عزمها على تقوية وتدعيم الأطر القائمة ضمن منظومة الأمم المتحدة لتشجيع التسامح وحقوق الإنسان، والحفاظ على الأسرة، وحماية البيئة، ونشر التعليم، ومكافحة الفقر والمخدرات والجريمة والإرهاب"، مؤكدة إدراكها للإسهامات الإيجابية للأديان والمعتقدات والقيم الإنسانية الأخلاقية في مواجهة هذه التحديات(16).

لقد أعطى هذا الاجتماع عالي المستوى لمبادرة خادم الحرمين الشريفين زخماً كبيراً، ذلك أن احتضان الجمعية العامة للأمم المتحدة، وهي المنتدى الدولي الأعظم تأثيراً والأكثر تمثيلاً لدول العالم وشعوبها، جاء نتيجة إدراك الأسرة الدولية لأهمية المبادرة واعترافها بأبعادها الإنسانية وبقدرة صاحبها على طرح مشروع عالمي يعيد إلى الإنسان كرامته وإلى الحضارة إنسانيتها وإلى الثقافات تفاعلها وإلى الشعوب تعارفها وإلى الأمم تضامنها وإلى الأديان مكانتها وإلى السلام ألقه وإلى العالم رونقه

(15) إعلان نيويورك الصادر عن الاجتماع عالي المستوى للحوار بين الأديان والثقافات والحضارات.
(16) مصدر سابق.

وإلى الحوار دوره وقيمه وقيمته. فقد استطاعت المبادرة أن تجند المجتمع الدولي على أعلى مستوياته السياسية من أجل جعل الحوار بين أتباع الأديان والثقافات من أهدافها السامية التي ينبغي أن تعمل من أجل تحقيقها، تقديراً منه للدور الذي تستطيع أن تقوم به مبادرة خادم الحرمين الشريفين في جعل الأديان والثقافات والهويات من عوامل الاستقرار في السياسة الدولية، بدل توظيفها وقوداً للحروب والصراعات، وفي هذا إدراك من المجتمع الدولي لكون الدعوة إلى الحوار بين أتباع الأديان التي جاءت بها المبادرة، ليست دعوة إلى الإسلام أو إلى الوحدة بين الأديان، وإنما هي دعوة إلى العودة إلى الأديان في نقائها وصفائها الهادفة إلى حماية الفطرة الإنسانية التواقة إلى تحقيق العبودية لله تعالى والرحمة والمحبة والعدل والأمن والسلام بين الناس، وإلى الانفتاح على شركاء الوطن والأرض والحياة والإنسانية، ومحاولة جادة لنشر قيم المودة والتسامح والتآخي بين الشعوب، وإلى إعادة بناء مفاهيم الحوار والتضامن الإنساني وترسيخ ثقافة التعايش بين شعوب الأرض جميعها على اختلاف أديانها ومذاهبها وثقافاتها.

إنَّ هذا الحراك السياسي الدولي رفيع المستوى، الذي تُوِّجَ بتبنّي الأمم المتحدة لإعلان نيويورك تحت بند رقم 45 "**الثقافة من أجل السلام**" أسهم بشكل كبير وفاعل في التعريف بمبادرة خادم الحرمين الشريفين حول الحوار بين أتباع الأديان والثقافات، ومهّد الطريق أمام المبادرة لكي تتحول مضامينها إلى مرتكزات أساس للعلاقات الدولية إذا ما عملت المملكة العربية السعودية ومعها الدول العربية والإسلامية على فتح نقاش دولي واسع عابر للثقافات واللغات والإثنيات حول المبادرة وتحويلها إلى ميثاق عالمي يقوّض دعاوى الكراهية والتعصب والعنصرية والصدام بين الحضارات. وهو أمر يتطلب تحقيقه التزام المنتظم الدولي بالوقوف في صف القضايا العادلة وإلزام أعضائه باحترام المواثيق والشرعية الدولية التي تمنع الظلم والعدوان والاحتلال، كما يتطلب انخراط المنظمات والمؤسسات والهيئات الفكرية والثقافية والعلمية والتربوية الدولية والدولية والإقليمية والوطنية في جهود تفعيل المبادرة، وفي مقدمتها منظمة اليونسكو والمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة - إيسيسكو -، وجعل المبادرة من أولويات عمل المؤسسات الإعلامية ومؤسسات المجتمع المدني، وفي صلب انشغالات الشباب ومناقشاتهم في الجامعات والمعاهد والمؤسسات التعليمية والنوادي الثقافية والهيئات السياسية والأهلية.

ولقد استطاعت مبادرة خادم الحرمين الشريفين حول الحوار بين أتباع الأديان والثقافات أن تعزز أطر الحوار التي اعتمدتها المملكة العربية السعودية بتوجيهات من خادم الحرمين الشريفين وتحت إشرافه، سواء في صيغتها الاحتفائية من خلال الحوارات الثقافية في المهرجان الوطني للتراث والثقافة "الجنادرية"، أم في أبعادها العلمية والأكاديمية من خلال الندوات الدولية التي عقدتها مكتبة الملك عبد العزيز العامة، أم في صيغتها المؤسساتية من خلال إنشاء مركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني الذي تنصب جهوده على ترسيخ قيم الحوار في المجتمع السعودي. وجاءت مبادرة الحوار بين أتباع الأديان والثقافات لتنقل جهود خادم الحرمين الشريفين من مستوى نشر ثقافة الحوار بين أبناء الوطن الواحد والدين الواحد، إلى ترسيخها في الفضاء العالمي لإحلال الوئام والسلام بدل الخصام والصدام.

لقد شكل "الاجتماع عالي المستوى للحوار بين الأديان والثقافات والحضارات"، الذي عقدته الجمعية العامة للأمم المتحدة في مقرها في نيويورك، في نوفمبر 2008 م، تحولاً مفصلياً في التعامل على الصعيد الدولي مع موضوع الحوار بين أتباع الأديان والثقافات، وبالنتيجة نجاحاً كبيراً لمبادرة خادم الحرمين الشريفين. وهو نجاح ينبغي استثماره في ضمان انتشار مبادئ المبادرة على أوسع نطاق، بعدما اقتنعت بها وأقرت بأهميتها الأسرة الدولية، وهذا ما لن يتأتى إلاّ بوضع استراتيجية حكيمة وخطة إجرائية محكمة كفيلة بتفعيل مضامين المبادرة وتحقيق الأهداف التي توخاها منها خادم الحرمين الشريفين. وهي خطة يمكن تلمس بعض معالمها في التوصيات الختامية للمؤتمرات التي عقدت في إطار إعلان المبادرة والتعريف بها، ومن ذلك دعوة "نداء مكة المكرمة"، الصادر عن المؤتمر الإسلامي العالمي للحوار إلى "تكوين هيئة عالمية للحوار، تضم الجهات الرئيسة المعنية بالحوار في الأمة الإسلامية، وذلك لوضع استراتيجية موحدة للحوار ومتابعة شؤونه وتنشيطه والتنسيق والتعاون في ذلك مع الجهات المعنية به"، وهي الدعوة التي تعززت بنص إعلان مدريد الصادر عن المؤتمر العالمي للحوار بشأن "تكوين فريق عمل لدراسة الإشكاليات التي تعيق الحوار، وتحول دون بلوغه النتائج المرجوة منه، على أن يتولى هذا الفريق إعداد دراسة تتضمن رؤى لحل هذه الإشكاليات".

ومن التوصيات العملية الصادرة عن المؤتمر الإسلامي العالمي للحوار دعوته إلى إنشاء "**جائزة الملك عبد الله بن عبد العزيز العالمية للحوار الحضاري**"، ومنحها

للشخصيات والهيئات العالمية التي تسهم في تطوير الحوار وتحقيق أهدافه، ودعوته إلى "**إنشاء مركز الملك عبد اللَّه بن عبد العزيز الدولي للتواصل بين الحضارات**"؛ بهدف إشاعة ثقافة الحوار، وتدريب وتنمية مهاراته وفق أسس علمية دقيقة"، وهي الدعوة التي أعاد التأكيد عليها البيان الختامي لاجتماع لجنة متابعة حوار الأديان، المنعقد في فيينا، يومَيْ 13 و14 يوليو 2009 م، الذي خصّص للتداول في الخطوات العملية التي يتحتم القيام بها لتفعيل مبادرة خادم الحرمين الشريفين، والذي قرر إنشاء مركز عالمي للحوار بين أتباع الأديان وتكوين فريق عمل تحضيري يضم ممثلي الديانات الإسلامية والمسيحية واليهودية ورئيس المعهد الدولي للسلام، للتكفل باقتراح لجنة تحضيرية مهمتها تقديم مقترحات مفصلة بشأن إنشاء مركز دولي لحوار الأديان وتحديد مهمته ونظامه وهيكله الإداري. وهو القرار الذي شدد على أهميته "**مؤتمر مبادرة خادم الحرمين الشريفين للحوار وأثرها في إشاعة القيم الإنسانية**" المنعقد في جنيف، يومَيْ 30 سبتمبر وفاتح أكتوبر 2009 م ، بتأكيده على "**دعمه إنشاء مركز عالمي للحوار، يُعنى بمبادرة خادم الحرمين الشريفين التاريخية، وينفذ مزيداً من البرامج، سعياً للوصول إلى مجتمع إنساني يسوده التفاهم والاحترام المتبادل**"، كما أشاد بالإعلان عن إنشاء المركز، مؤتمر "**الحوار في المشترك الإنساني**"، الذي انعقد في تايبيه بتايوان، يومَيْ 18 و19 ربيع الأول 1432هـ الموافق 21-22 فبراير 2011 م، وأعلن "**تأييده للأهداف النبيلة التي يسعى إليها، ويدعو الجهات المعنية بالحوار حول العالم إلى التنسيق معه ودعم برامجه ومناشطه**". ولقد قطع مشروع إنشاء المركز أشواطاً مهمة تمثلت في الاتفاق مع دولة النمسا على احتضان عاصمتها فيينا مقر المركز الذي أنشئ في (مركز الملك عبد اللَّه بن عبد العزيز العالمي لحوار أتباع الأديان والثقافات)[17]، والذي سيعمل على وضع برنامج عملي شامل للحوار بين أتباع الأديان والثقافات، حتى لا يكون حظ الإنسانية من هذه المبادرة مؤتمرات تعقد هنا وهناك، وتظل بحوثها ودراساتها دون أثر ميداني يعود بالنفع والخير على الإنسانية التي جاءت مبادرة خادم الحرمين الشريفين لخدمتها.

وإسهاماً منها في الجهود الرامية إلى تحقيق أهداف مبادرة خادم الحرمين الشريفين للحوار بين أتباع الأديان والثقافات، وتعزيزاً لدورها وجهودها في هذا

(17) تم التوقيع على اتفاقية إنشاء هذا المركز في ڤيينا، يوم 14 أكتوبر 2011م.

المجال، تقدم المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة - إيسيسكو- في الجزء الثاني من هذه الوثيقة رؤيتها للآفاق المستقبلية للمبادرة والشروط الكفيلة بإنجاحها.

لقد قدمت مبادرة خادم الحرمين الشريفين للحوار بين أتباع الأديان والثقافات فرصة ثمينة لإعادة النظر في موضوع الحوار بين الأديان والثقافات والحضارات، ولتحديد مواطن القصور قصد استدراكها ومواطن القوة قصد استثمارها، خصوصاً وأن مبادئ الحوار الديني وأصوله وطرائقه ومناهجه، بل وحتى كثير من موضوعاته إسلامية المنشأ، فقد أسس القرآن الكريم لهذا المنهاج بحواراته المختلفة لأهل الملل والنحل ولأهل الكتاب تصويباً ونقداً وتقويماً، الأمر الذي عززه وقوّاه البيان النبوي الشريف في معاملته لمختلف الطوائف والأقوام، واستثمره بعد ذلك علماء المسلمين منذ صدر الإسلام، لما دخلوا في حوارات ومناظرات مختلفة مع أرباب الديانات والعقائد، وتوّجوها بالتأسيس لعلم مقارنة الأديان الذي وضع المبادئ العامة للدراسة العلمية المنهجية للأديان، وأسهم في إشاعة روح التعايش بين الشعوب على اختلاف شرائعها وأديانها. وما من شك في أن السبق الإسلامي إلى التأسيس لعلم مقارنة الأديان، يعدّ شاهداً على سماحة الإسلام وعلى شعور علمائه وأعلامه بالمسؤولية الأخلاقية اتجاه الإنسانية حين تبوأت الحضارة الإسلامية مركز الريادة الحضارية، فحرصوا على التأليف في هذا المجال بمنهاج علمي حجاجي برهاني فتح جبهات التعرف على الديانات السابقة على الإسلام، وانفتح على الملل الأخرى لدراستها حتى أصبحت كتبهم ومؤلفاتهم دوائر معارف للأديان، وموسوعات معرفية ما زالت تتيح للباحثين إلى الآن التعرف على الشرائع السماوية والوضعية، ومن ذلك ما قدمه ابن حزم الأندلسي، من مقالات ودراسات تَوَّجَهَا بموسوعة "**الفِصَل في الملل والأهواء والنحل**"[18] التي حازت قصب السبق في التأصيل لعلم مقارنة الأديان ووضع منهاجه وقواعده وضوابطه، والتي ترجمها المستشرق الإسباني ميغيل أسين بلاثيوس إلى الإسبانية، معترفاً بسبق ابن حزم في التأصيل لعلم لم تشرق أنواره على أوروبا إلاَّ في القرن العشرين، في اتساق تام مع ما ذهب إليه المستشرق البريطاني هاملتون جيب حين أقر بأن الغرب ينظر إلى ابن حزم بصفته واضع أسس علم مقارنة الأديان.

(18) دار الجيل، بيروت.

ولم يكن ابن حزم استثناء إسلامياً في هذا الإطار، فقد عرف التاريخ الإسلامي إسهامات أغنت العطاء الإسلامي في علم مقارنة الأديان، فكان صاحب "**الملل والنحل**"[19] أبو الفتح أحمد الشهرستاني من البارزين في هذا المجال، مثلما برز أعلام آخرون كالنوبختي في "**الآراء والديانات**"، والمسبحي في "**درك البغية في وصف الأديان والعبادات**"، وأبو الحسن الأشعري في "**جمل المقالات**"، والمسعودي في "**المقالات في أصول الديانات**"، والبغدادي في "**الفَرْق بين الفِرَق**"[20]، وابن كمونة في "**تنقيح الأبحاث في الملل الثلاث : اليهودية والمسيحية والإسلام**"[21]، وأبو المعالي الجويني في "**الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد**"[22]، وأبو حامد الغزالي، والفخر الرازي، وابن جرير الطبري، والقرطبي، والباقلاني، والطوفي، والبيروني، والمقريزي، واليعقوبي، وأبو الوليد الباجي، وأبو الحسن العامري، وأبو عيسى الوراق، ورحمة اللّه الهندي، والشيخ محمد أبو زهرة في "**الديانات القديمة**"[23]، وأبو الربيع محمد بن الليث، صاحب الرسالة الشهيرة في علم مقارنة الأديان[24]، والتي بعثها الخليفة هارون الرشيد إلى قسطنطين ملك الروم، وغير ذلك من الأسماء التي كتبت في هذا العلم وأسهمت في تطويره على مرّ التاريخ الإسلامي، انسجاماً مع نسق الأمة المعرفي المرتكز على عالمية وكونية وإنسانية الرسالة الإسلامية الداعية إلى الكلمة السواء عبر الدعوة إلى إرجاع الجزئيات المختلف فيها بين أتباع الأديان إلى الكليات المتفق عليها بين الشرائع والأديان.

إنَّ إيراد هذا العطاء الإسلامي الثرّ في خدمة علم مقارنة الأديان ليس من قبيل التباهي بماض يخلده تاريخ العلوم والأفكار، وإنما للتذكير بريادة المسلمين في الانفتاح على الثقافات الأخرى بمنهاج علمي منزه عن أي مركب نقص أو عقدة استعلاء، وهو منهاج ينبغي تفعيله في عالم اليوم لفتح فضاءات عالمية للحوار بين أتباع الأديان والثقافات في إطار مبادرة خادم الحرمين الشريفين للحوار، على أن لا

(19) نشر ضمن كتاب "**الفصل بين الملل والأهواء والنحل**" لابن حزم في أربعة مجلدات، دار الفكر، بيروت، 1980م.

(20) المكتبة العصرية ـ بيروت، 1995م.

(21) دار الأنصار ـ القاهرة.

(22) دار الكتب العلمية ـ بيروت 1995م.

(23) دار الفكر العربي ـ القاهرة، 1998م.

(24) رسالة أبي الربيع محمد بن الليث (من هارون الرشيد إلى قسطنطين ملك الروم) ، مكتبة النافذة، القاهرة، 2006م.

يكون هذا الحوار حواراً سجالياً حول العقائد، وإنما حوار الأساس فيه معالجة قضايا الإنسان حيثما كان، بحيث ينتقل من دائرة النقاشات اللاهوتية إلى دائرة الهموم الإنسانية، ويدرس السبل الكفيلة بتحقيق التعاون الدولي والتعايش الحضاري والديني والتضامن الإنساني والسلم العالمي، إذ لا معنى لحوار بين أتباع الأديان في عالم اليوم إن لم يضع ضمن أولوياته الأزمات الإنسانية والاجتماعية الكونية والأزمة الاقتصادية العالمية والأزمة السياسية التي يجسدها انعدام الديمقراطية البينية في العلاقات الدولية، ولا جدوى من حوار بين أتباع الأديان لا يسعى إلى وضع حد لازدراء الأديان وتدنيس المقدسات الدينية ومعالجة قضايا الفقر والبطالة والأمية والتخلف والاحتلال والإرهاب، بما في ذلك إرهاب الدولة الذي تمارسه سلطات الاحتلال الإسرائيلي في حق الشعب الفلسطيني والمقدسات الإسلامية والمسيحية في القدس الشريف وفي عموم الأراضي الفلسطينية المحتلة، وعلى رأسها جرائم الحرب الإسرائيلية الممنهجة والمتواصلة ضد المسجد الأقصى المبارك ومحيطه، في انتهاك سافر للقانون الدولي والأعراف الإنسانية والقيم والتعاليم التي جاءت بها الأديان السماوية.

لقد كان التناول العلمي الإسلامي للأديان إدراكاً حكيماً لدور المعرفة في تحقيق التعارف بين أتباع الأديان والثقافات، وهو ما شكل عنصر قوة للمسلمين، إذ كانت بادرة الانفتاح على الآخر والتواصل والتحاور معه منهم قبل غيرهم. لكن ظروفاً ثقافية وسياسية وفكرية حالت دون استمرار المسلمين في عطائهم الحضاري، فكان من الطبيعي أن ينعكس تخلفهم على حضورهم الثقافي وتفاعلهم الديني والحضاري، حيث أصابه الضمور ضمن ما أصيب في كيان الأمة من عناصر قوتها. وهذا ما يستوجب بناءاً جديداً لرؤية معرفية لموضوع الحوار بين أتباع الأديان والثقافات تأصيلاً وتفريعاً حتى يستعيد مشروع الحوار عافيته ويتحقق من خلاله أداء جزء من النصح والبيان للغير، وتوفير قاعدة سلم وأمن للتعايش الإنساني من خلال القيم والمفاهيم الإسلامية المؤسسة في هذا الاتجاه باستثمار كل الجوامع الثقافية ومداخل المشترك، وتفعيلها لما هو إنساني ومشترك. وبهذا تستطيع مبادرة خادم الحرمين الشريفين تحقيق مراميها ورفع التحديات التي تواجهها وتقديم البديل الحضاري الذي ينقذ الإنسانية ويحميها. وذلك ما تروم الإيسيسكو توضيحه وبيانه من خلال هذه الوثيقة، عبر طرح القضايا الكبرى التي ينبغي أن يوليها القائمون على تفعيل مبادرة خادم الحرمين الشريفين الأهمية اللازمة، والتي يمكن إجمالها في خمس قضايا رئيسة.

والمقصود هنا تقديم تعريفات ذات بعد معرفي يستند إلى الخصوصية والهوية الإسلامية، لكنه في الوقت ذاته يبحث عن المشترك الإنساني وعن قنوات التواصل والحوار بين أتباع الأديان والثقافات، باعتبار أن بين المفاهيم المتداولة مشتركات كثيرة تعكس وحدة الجنس والاهتمامات والمصالح والتطلعات على مستوى القيم الاجتماعية والسياسية والحضارية وغيرها.

وغنيٌّ عن البيان أن الإسلام ديناً وثقافة، بحكم البعد الإنساني والعالمي لرسالته السامية، ذو قدرة كبيرة على التحاور والاستيعاب والتواصل وتحقيق التعارف. ولقد تجسّد ذلك في تواصله العالمي خلال عصور الازدهار الإسلامي حين استطاع فتح أوراش حوار ونقاش علمي وديني وحضاري وثقافي مع كيانات حضارية تؤمن بشرائع مختلفة وتتشبع بقيم ثقافية مختلفة وتنتمي إلى قارات مختلفة آسيوية وأوروبية وإفريقية.

إنَّ قضية البناء المعرفي للمفاهيم قضية أساسية في الحوار والتواصل الديني والثقافي، فالمكتبة الإسلامية تكاد لا تحوي معاجم معرفية تعطي للمفاهيم كامل دلالاتها وإمكاناتها في البناء الذاتي والتواصل الخارجي، فباستثناء معاجم اللغة وبعض الموسوعات غير المتخصصة أو الأعمال الفردية غير المؤسسة، تبقى هذه الواجهة بحاجة إلى بناء ناجز.

يؤكد هذه الضرورة كون كثير من الموسوعات الأجنبية تحمل للأسف مضامين غير تواصلية وحوارية، تعمق الخلاف أكثر مما تؤسس للتواصل والتعايش نظراً لكون معظمها كتب في ظروف سياسية تحكمت فيها خلفيات استعمارية وطموحات توسعية وهيمنية. وهذا من الأسباب التي دفعت الإيسيسكو إلى تجنيد طاقاتها ومواردها من أجل إعداد الموسوعة الإسلامية، والتي يعد إنجازها من المشاريع العلمية والحضارية الكبرى التي تحظى بالأولوية لدى الإدارة العامة للإيسيسكو.

إنَّ مفاهيم من قبيل العدل والحرية والمساواة والسلم والأمن والحوار والتواصل والتضامن والتعارف والتدافع والثقافة والحضارة والتقدم والتنمية والنهضة والتنوير والتجديد والتوحيد والإيمان والتعاون والتكافل، لا نكاد نجد لها إلا تعريفات بسيطة تحتاج إلى مزيد من التطوير والرصد للأبعاد والدلالات المختلفة من خلال منهاج تصوري بنائي مستوعِب ومتجاوِز.

فـإذا كـان الحوار في ثـقـافـتـنـا مـطلبـاً شرعيـاً قبل أن يكون ضرورة واقعية وحضارية وإنسانية، فإنه من جهة أخرى لكي يؤدي وظيفته في الإفادة والاستفادة، لابد له من التأهيل العلمي والمعرفي لتحصيل الندية والتكافؤ. وما من شك في أن البناء المعرفي للمفاهيم مدخل من أهم مداخل النهوض بالذات والحوار مع غيرها من أتباع الأديان والثقافات، إذ ثمة مداخل أخرى رئيسَة كذلك في هذا السياق. لابد أن تتضافر فيها الجهود وتتكامل، من بينها العمل على توحيد الجبهة الداخلية وتجنيبها المزيد من الانقسام والتجزئة التي مازالت سبباً في ضعف ذات الأمة وكيانها. وليس المقصود هـهنا التجزئة الجغرافية والسياسية لبلدان العالم الإسلامي فحسب، بل الانقسام الفكري والثقافي الذي لا يعبّر عن الغنى والتنوع البنائي بقدر ما يكرس الصراع والتقاطب والتقابل السلبي بين التيارات والمذاهب والذي انسحب حتى على المفاهيم التي طالها التحيز والمصادرة لهذا الاتجاه أو ذاك.

هناك عنصر آخر مؤثر بشكل سلبي على هذا المسار، وهو ضغط النفوذ الغربي وتأثيره القوي الذي يحرص على أن يكون نموذجه ومنهاجه في الحوار هما المهيمن، وهما المتحكم في موضوعاته ونتائجه، عن طريق إسناده بالقوة الإعلامية والسياسية والاقتصادية وأحياناً العسكرية.

تحت هذا الضغط، يكاد يستسلم صنف من الخطاب الإسلامي إلى أنه لا فائدة ولا جدوى من الحوار ولا من التعارف أو من التحالف، ما دامت الهيمنة والتوجيه والنتائج المسبقة حاضرة بقوة. والواقع أن ثمة سوء فهم وخلط بين واجب البيان والتبليغ لقيم الرسالة التواصلية التعارفية أخذ بها المخالف أو لم يأخذ بها، وهي هنا شبيهة بمنطق الدعوة إن لم تكن دعوة أصلاً، وبين موازين القوة المتفاوتة.

ولهذا إذا كانت بعض الأوساط الغربية قد أساءت إلى مفهوم الحوار، تماماً كما أساءت إلى مفاهيم عدة كالحرية والعدل والمساواة والأمن والسلام والحداثة والتنوير وغيرها. فالواجب إعادة بناء المفهوم من خلال المرجعية والتصور الإسلامي الذي يضفي عليه الطابع الإنساني والقيمي قبل أي شيء آخر، تماماً كما هو واجب بناء مفهوم الحرية مثلاً تصويباً وتسديداً للآفات التي لحقتها. فسوء البناء والتمثيل ليس مبرراً للانسحاب ومغادرة الساحة بقدر ما هو موجب لملئها وتوجيهها.

أما موازين القوة، وإن كانت لها صلة وطيدة بمناصرة الحوار سلباً وإيجاباً، فهذا يقتضي من الأمة نهوضاً على جبهاتها المختلفة تربوية واجتماعية وقومية وسياسية

وعسكرية... وغيرها. وإذا كانت فعاليتها في هذه الواجهات قد تعطلت، فإن مرجعيتها ما تزال قادرة على إسنادها ومدّها بعناصر قوة كثيرة لا يملكها الآخر، وهي نقاط ضعف عنده، لكن للأسف لا نحسن استثمارها وتوظيفها.

بناء على ما تقدم، فإن إعلان مبادرة خادم الحرمين الشريفين للحوار بين أتباع الأديان والثقافات مشروع بالنقل والعقل والضرورة الحضارية والثقافية، وهذا ما أعطى للمبادرة قوتها وقدرتها على التأثير في الأوساط الثقافية والدينية والسياسية.

إنَّ من عناصر قوة الأمة وخطابها الإسلامي في موضوع الحوار، قوة الاقتراح وفعاليته، فسلبيات النموذج الحضاري الغربي وثغراته على مستوى نسقه الاجتماعي والثقافي والحضاري والديني والبيئي الطبيعي كثيرة. ولو استطاع الفكر الإسلامي تقديم خطاب اقتراحي لبدائل وحلول في مستوى الإشكال وتحدياته، لاستطاع أن يميل الكفة لصالحه وأن يجذب الخصم ويستقطب المخالف إلى جانبه، لكن للأسف عندما تقدم حلول واقتراحات دون المستوى المطلوب أو لا تقدم أصلاً، تبقى ساحة الاقتراح والتدافع عرضة للهيمنة من الطرف الذي يستفرد بها.

وهذا البناء المعرفي للمفاهيم الإسلامية في الحوار والتواصل، هو أشبه ما يكون بالتعريف المقصدي والفلسفي لها. ولا يخفى ما أتاحه علم المقاصد من أبعاد جديدة للفقه والتشريع تستوعب من خلالها الأحداث والنوازل المستجدة وتواكب تطور المجتمع والحياة، رغم كون استئناف تجديد وبناء هذا العلم ما زال في مراحله الأولى في فكرنا الحديث والمعاصر.

لكن المعرفة، والفلسفة خصوصاً، لما كانت اصطلاحاً ومفهوماً وتداولاً، تنتمي إلى مجال ثقافي غربي مغاير حمَلت أو حمِّلت مبادئ وآراء ومقولات قد تعارض كلاًّ أو جزءاً مبادئ الدين وأحكامه وتقريراته، لدرجة يذهب فيها البعض إلى أنها النقيض الموضوعي للدين نفسه، خصوصاً إذا أخذنا بعين الاعتبار هيمنة اتجاهات فلسفية مادية قديمة وحديثة على البحث والدرس الفلسفي عموماً. ولهذا كان الموقف الرافض لها كلاً أو جزءاً من طرف كثير من العلماء والفقهاء.

وهذا موقف غير سليم بالنسبة للفلسفة وللمعرفة عموماً، ولفلسفة الدين والمعرفة الدينية بوجه أخصّ، لأنه قائم على استحضار تجربة في واقع وسياق تاريخي وثقافي وديني مغاير وإسقاطها على تجربة أخرى مختلفة. علماً بأن علماء

وأعلاماً مسلمين اشتغلوا بالفلسفة والمنطق نقداً وتقويماً وبياناً كالغزالي وابن حزم وابن رشد وابن تيمية وغيرهم.

وإذا تجاوزنا هذا المعطى الإسقاطي إلى النظر في الدور الذي يمكن للفلسفة أو المعرفة أن تضطلع به في إيصال معاني الدين والتعبير عن قيمه الكونية والإنسانية وعن نظامه العلائقي وحقائقه الوجودية في عالم الغيب كما في عالم الشهادة، وعن المشتركات الدينية والحاجة البشرية إليها وعن قدرتها على درء المفاسد أيا كان نوعها ومجالها، كل ذلك من خلال القدرة التنظيرية والتجريدية والتفسيرية للوجود والكائنات والحياة، والعلائق ونظام الأسباب والسنن الضابطة، وغير ذلك مما يتيحه البحث الفلسفي الموضوعي من غير إسقاطات مسبقة. إذا تجاوزنا هذا المعطى الإسقاطي، وجدنا أن ثمة توافقاً وأحياناً تطابقاً بين وظيفة الفلسفة ومقاصد الدين من خلال تنصيص الدين المتكرر وبمختلف الصيغ، على ضرورة التدبر والتفكر والتعقل والتأمل والنظر والفقه والاعتبار في آيات الأنفس وفي آيات الآفاق التي هي في نهاية المطاف، تلك القدرة التنظيرية التي تتميز بها الفلسفة ويتفرّد بها الفلاسفة.

بل يمكن القول، إن الفلسفة من هذا المنظور مقصد من مقاصد الدين وضرب من ضروب تفسيره، والدين قول فلسفي في الكون والإنسان والحياة. وكل أشكال التعارض وضروب التقابل بينهما إنما هي صناعة بشرية تاريخية ناتجة عن سوء فهم للدين أو للفلسفة أو لهما معاً. إذ لا تعارض بين النقل الصحيح والعقل الصريح كما يقرر شيخ الإسلام ابن تيمية، ولا بين الحكمة والشريعة كما فصل المقال فيما بينهما من الاتصال ابن رشد الفقيه والفيلسوف.

وهنا تثار قضية أخرى، وهي الثنائيات التاريخية المتقابلة التي فرّقت أكثر مما جمعت، وجزّأت أكثر مما وحّدت. إذ لا أصل لهذا التقابل بين الثنائيات في النصوص الدينية وفي أصل النظر العلمي والعقلي لاعتبارات متعددة أهمها وحدة المصدر وانتظام السنن الدينية والكونية. فإذا كان الوحي كلام اللَّه فالكون خلقه، ﴿ **أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير اللَّه لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً** ﴾[25]، وكذلك كون

(25) سورة النساء، الآية : 82.

النصوص الدينية نفسها تؤكد دور العقل في الفهم إذ هو مناط التكليف، ودور العلم في اكتشاف آيات الأنفس والآفاق التي هي دليل التعرف على الخلق والوجود ومنهما على الخالق.

فالأصل في مصادر المعرفة (وحياً وعقلاً وواقعاً) التكامل وليس التقابل، وكل ضروب التقابل التي ظهرت، فمرجعها إلى سوء الفهم والتأويل، أو إلى تحيزات معينة هي التي جعلت التقابل بين: العلم والدين، أو النقل والعقل، أو الحكمة والشريعة أو الأصالة والمعاصرة أو الإسلام والحداثة أو الإسلام والغرب أو كل قديم وحديث... إلخ.

وإذا كان "**الكتاب الأبيض حول حوار الثقافات**" الذي أصدره مجلس أوروبا، قد نص على أن القيم الكونية تعتبر (شرطاً أوليا للحوار بين الثقافات) وأن الحوار (يعد مستحيلاً في غياب احترام الكرامة المتساوية للأفراد وحقوق الإنسان وسيادة القانون ومبادئ الديمقراطية)، وأن هذه القيم خاصة احترام حرية التعبير والحريات الأخرى الأساس هي ما يضمن حواراً خالياً من كل هيمنة تحكمه قوة الحجة وليس حجة القوة[26]. إذا كان الكتاب قد نص على ذلك، فإنه قد نبه كذلك على مسألة أخرى أكثر أهمية تندرج ضمن ما أشارت إليه هذه الوثيقة من ضرورة البناء المعرفي الاستيعابي والتواصلي لكثير من المفاهيم الإسلامية، وذلك من خلال تأكيده أنه من خلال عملية الاستشارة غالباً ما كانت تتكرر فكرة مفادها أن المقاربات التقليدية لتدبير التنوع الثقافي (ومثله التنوع الديني) ـ لم تعد ملائمة للمجتمعات التي تشهد درجة من التنوع غير مسبوقة وتنمية متواصلة. وكشفت الإجابات عن الاستمارات الموجهة للدول الأعضاء على الخصوص، أن المقاربة المتبعة إلى عهد قريب في العمل العمومي في هذا المجال والتي تتلخص في كلمة التعددية الثقافية لم تكن ملائمة (...) فكان الطريق الذي يتعين اتباعه هو حوار الثقافات.

ومع ذلك ظلّ معنى عبارة حوار الثقافات غير واضح إلى حدّ ما. ولهذا السبب دعت وثيقة الاستشارة الجهات المعنية إلى تقديم تعريف، غير أن تلك الجهات ترددت في القيام بذلك، لأن الحوار بين الثقافات ليس معياراً جديداً ثابتاً سهل التعريف ويمكن

(26) الكتاب الأبيض حول "**حوار الثقافات من أجل العيش معاً متساوين في الكرامة**"، ص 22. نشر المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، الرباط: 2002م.

تطبيقه في كل المواقف الحقيقية دون تدخل أطراف أخرى. وكشف هذا التحفظ عن التباس حقيقي بخصوص المعنى المتداول لحوار الثقافات.

إلاَّ أن الجهات التي أجابت عن الاستمارات وتلك التي شاركت في الاستشارة تتفق على أن المبادئ الكونية تشكل مرجعية معنوية وتوفر هذه المبادئ الإطار الضروري لإرساء ثقافة التسامح وتبين حدودها بشكل واضح[27].

فلابد إذن من اشتغال معرفي جديد على مستوى بناء المفاهيم الدينية والثقافية والحضارية في الأمة بناء يؤهلها لاحتلال مواقع متقدمة في برامج الحوار المختلفة وعلى أكثر من صعيد وواجهة، خصوصاً وأن المفاهيم الإسلامية هي في الوقت نفسه دينية وثقافية وحضارية وفلسفية معرفية ذات قدرات تأطيرية هائلة، على خلاف غيرها من المفاهيم التي تنتمي إلى مجالات محدّدة إذا غادرتها فقدت وظيفيتها وإجرائيتها وربما انقلبت إلى عكس مرادها. فلا نكاد نجد روابط بين المفاهيم الدينية والفلسفية والحضارية والمعرفية بسبب الخصومات التاريخية وعمليات التحييد والفصل المنهجية التي أصابت النموذج الغربي.

وإنَّ الأمة الإسلامية، والعالم أجمع، بحاجة إلى معرفة دينية جديدة تستطيع الأديان من خلالها القيام بدور تصحيحي مهم يعادل دور المعارف والفلسفات المادية في التأطير والتأثير والتوجيه، أي إعادة بناء الوظائف التكاملية لمصادر المعرفة، وذلك بإنتاج معرفة تعكس المشترك الديني والإنساني على مستوى القيم والأحكام والمجتمع، وإخراج الأديان من لعب الدور الهامشي التكميلي إلى القيام بالدور الأساس البنائي في العلم والمعرفة والمجتمع، فهي مالكة منظومة القيم وصاحبة القدرة على الترشيد والتسديد أمام مظاهر التأزم والإفلاس المستمرة للاختيارات الفلسفية النفعية المادية الضيقة المؤطرة للمعرفة والعلوم والقيم، خصوصاً أمام تحديات العولمة ومقولات ما بعد الحداثة الممجدة للمتعة واللذة والاستهلاك، المقدِّسة للربح والإنتاج، المتجاوِزة للثوابت والمطلقات والقيم المعيارية في استباحة عدمية كلية للحدود والحقوق والفوارق والخصوصيات، أي في اتجاه تدمير المعنى والمقصد والجوهر

(27) مصدر سابق، ص 28.

الفلسفي في كينونة الإنسان وعمقه في الوجود، ذاك الذي جاءت الأديان تذكِّر به وتصونه وتحافظ عليه، إذ هو مبرر الوجود أصلاً.

في سياق هذا التحول الوظيفي للأديان، في اتجاه بنائها الفلسفي والمعرفي الشامل والمستوعب، يبدو أن القراءات التي طالما اعتبرت الظاهرة الدينية ظاهرة تاريخية أو ثقافية محضاً، قد آلت إلى الانسداد وبدأت تسلّم في النهاية، أشخاصاً ومدارس، بعدم إمكان اختزال الظاهرة في بعد أو بعدين. ولهذا أصبح مؤرخ الأديان بالخصوص مطالباً، ليس بالتأريخ وحده، وإنما بإبراز البعد الفلسفي والمعرفي التأطيري للدين في الحياة الاجتماعية والسياسية والثقافية وغيرها، بل وفي العلوم الإنسانية والطبيعية كذلك. وما لم يقم بهذا الدور، فإن جهده سوف يبقى قاصراً إن لم يستطع إبراز الدور المرجعي المؤطر الذي تقوم به الأديان بوصفها منشئة للاعتقاد والسلوك وليست عنصراً من عناصر التفسير وحسب.

فكثير من الإبداعات البشرية على المستوى الثقافي أو الأدبي أو الفني أو الاجتماعي أو السياسي أو حتى الاقتصادي، نجد تفسيراً لها في بعد من الأبعاد الدينية. يتجلى هذا في كثير من الديانات الآسيوية مثلاً التي استطاعت الحفاظ على عراقة التدين من خلال الرموز والعادات والتقاليد التي غطت أو كادت مساحة الحياة على الرغم من الزحف المادي والعلماني الذي يحاول تجريدها وتحييدها بشكل كلي. ولنقل مثل ذلك في الديانات السماوية الثلاث على اختلاف في مراحل الأداء التاريخي من اكتساب الشرعية والسلطة وما إليها.

وكان الطابع الذي هيمن على اشتغال المسلمين بالأديان بعد التأسيس المعرفي والمنهجي القرآني لهذا المجال، سجالياً تقويمياً أكثر منه بنائياً فلسفياً ومعرفياً للدين، أي أنه أصابه ما أصاب علم الكلام نفسه. وذلك لظروف وتحديات داخلية وخارجية على حد سواء.

ولقد كانت دراسات الأديان في السابق وما زال معظمها إلى الآن، موجهة في إطار صراعي يحكمه منطق الإقصاء المتبادل داخل النسق الواحد بين مختلف تياراته كما هو شأن التجربة المسيحية، أو داخل الأنساق المتعددة كما هو شأن المسيحية مع اليهودية في مراحل تاريخية معينة وشأنهما معاً مع الإسلام. ولهذا فالضرورة الآن قائمة على أساس تحرير الأديان من الطابع الصراعي الذي أضفي عليها والذي حال

دون إبراز دورها البنائي والوظيفي في سائر مجالات المعرفة والحياة، ودورها التواصلي والتعارفي في العلاقات بين أتباع الأديان والثقافات.

ولقد اعتبرت الكنيسة الإسلام خصماً والمسلمين أعداء، ووظفت المسيحية والمسيح عليه السلام في حرب صليبية دامت قروناً. بل وقدّمت تجربة وصورة سيئة عن الدين لما جعلته في مواجهة العلم والفكر وسائر ضروب الإبداع والنظر العقلي. وكذلك فعل كثير من رجال الدين اليهود لما برّروا الاحتلال والعدوان باسم الدين وألبسوه حلّة دينية فجعلوه كذلك في صراع مع الإسلام والمسلمين دام عقوداً وما يزال مستمراً، على الرغم من أن المسلمين واليهود غير المتصهينين يدركون الفرق بين اليهودية بوصفها ديناً سماوياً وبين الصهيونية باعتبارها عقيدة سياسية عنصرية ترتدي عباءة اليهودية لتحقيق أغراضها الدنيئة وأهدافها التوسعية.

وإذا تجاوزنا هذا المنطق الصراعي المحكوم بخلفيات توسعية واستعمارية إلى مجال البحث العلمي، نجد أن الغرب الذي أخذ بزمام "الحوار" والدراسات الدينية، قد هيمن عليه نمط من التفسير الحديث للأديان مستلب كلياً أو جزئياً لمدارس ما بعد عصر النهضة ذات النزوع الفلسفي المادي العلماني. ولهذا فكتابات كل من دوركايم، ويونغ، وفرويد، وبتازوني، وتايلور، وبرجسون وغيرهم، وإن عالجت الظاهرة الدينية من مداخل اجتماعية ونفسية وتاريخية وثقافية، فإنها لم تذهب بها إلى أبعد من ذلك، ولم تنظر إليها باعتبارها منشئة للاعتقاد ومحددة للسلوك الاجتماعي والسياسي والحضاري وليس فقط عنصراً من العناصر التفسيرية الثانوية. وإن كان بعضها قد حاول استدراك هذا الأمر على نحو ما فعل الأب شميت وسبينوزا وغيرهما.

وفي مقابل ذلك، نجد أن إعطاء البعد التفسيري الشامل والمؤطر للأديان قد كان من داخل الفكر الديني نفسه ذي البعد الفلسفي والعقلاني على نحو ما فعل الغزالي وابن رشد في الإسلام، وموسى بن ميمون في اليهودية، والقديس أغوسطين وتوما الأكويني في المسيحية.

فالمعرفة الدينية معرفة علمية وعقلية واجتماعية واقعية، لأنها خطاب توجيهي إرشادي للإنسان يدله على أنجع الطرق وأقومها في الحياة. وكل ما ابتكره الإنسان في هذا الاتجاه مما يحقق سعادته في الدنيا والآخرة، ويزيد من تعرفه على الخلق والخالق، فهو مطلوب ومعتبر ديناً. وما آفة كثير من العلوم والمعارف اليوم، إلاّ بسبب انفصالها

عن القيم الدينية المرشدة والمسددة، وتوسلها بقيم بديلة جعلتها تنحرف عن خدمة الإنسان والكون والطبيعة، وتتحول في كثير من الأحيان، إلى عناصر إتلاف وتخريب ودمار للإنسان والكون والطبيعة.

يبقى التأكيد بعد هذا على أن هذه الوظيفة الجديدة للأديان لا يمكنها أن تتحقق بمقاصدها وغاياتها التي هي التأطير والتوجيه والإرشاد والتسديد والتعايش ..إلخ، إلا إذا تم التركيز على دوائر الاتفاق والمشترك في كل المجالات، والعمل على بناء فكر الوحدة والتكامل في المجال الإنساني والعلمي والكوني لقابليتها الموضوعية لهذا الضرب من البناء والعطاء.

ويمكن أن ننظر إلى الأديان في علاقتها، بعضها ببعض، من خلال مدخلين اثنين، أولهما المدخل الخلافي الذي يبحث عن المواطن الخلافية، وثانيهما المدخل التقريبي الذي يبحث عن المواطن المشتركة في العقائد والأحكام الكلية والتفصيلية.

وحيث إن هذه الوثيقة تسعى إلى إبراز السبل الكفيلة بإنجاح "**مبادرة خادم الحرمين الشريفين للحوار بين أتباع الأديان والثقافات**"، فإنها ستركز على المدخل التقريبي، ليس لحاجتنا إليه بسبب اختلال موازين القوة أو بفعل تحديات العولمة وضغطها، فنعمل على إبراز الجوامع المشتركة لنجمع لمبادرة خادم الحرمين الشريفين للحوار بين أتباع الأديان والثقافات أدلة شرعيتها ونحشد لها مسوغات وجودها، وإنما لأن مفهوم الحوار مفهوم أصيل في الثقافة الإسلامية، شأنه في ذلك شأن كثير من المفاهيم التي أهملت تاريخياً، فلم تنل من العناية والبناء ما يجعلها نسقاً مغذياً لثقافة الأمة وسلوكها، كالأمن والسلم، والوسطية والاعتدال، والحرية والخيرية والشهادة...، حيث ظهرت الحاجة الماسة إليها الآن أمام فتن العصر وابتلاءاته، فضلاً عن كونه مطلباً دينياً قبل أن يكون دنيوياً.

إنَّ الحوار مع الآخر مبدأ أصيل في الأصول المؤسسة للثقافة الإسلامية وفي التجربة التاريخية للأمة الإسلامية، وإنما أتت على الأمة ظروف من الخلاف والفرقة والانحطاط مكنت للفكر الفِرَقي والطائفي الذي تعامل مع نصوص الوحي باعتبارها شواهد لا شاهدة على هذه الاختيارات علوماً ومعارف وغيرها.

فالقرآن الكريم وهو رسالة الختم والهيمنة والتصديق والاصطفاء الكوني الشامل، لم يلغ ولم يقص (الآخرين) من دائرته، لم يعلن النهاية كما تعلنها العولمة اليوم (نهاية

التاريخ) (نهاية الإنسان)، (نهاية المؤلف)، (نهاية المنهج)، (نهاية اليوتوبيا)، (نهاية الإيديولوجيا)، (نهاية الفلسفة)، (نهاية الحداثة)، (الإنسان الأخير)... إلخ.

لقد تحدث القرآن الكريم عن إكمال الدين وإتمام النعمة، وهو بناء ابتدأ من آدم عليه السلام، ﴿ **اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً** ﴾[28] والاكتمال والإتمام يستصحبان ويقتضيان وجوداً سابقاً يقر للآخرين بجهدهم وفضلهم. ومن ذلك حديث اللبنة في البخاري حيث قال النبي صلى اللّٰه عليه وسلم : «إنَّ مثلي، ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتاً فأحسنه وأجمله إلاَّ موضع لبنة من زاوية، فجعل الناس يطوفون بعه ويعجبون له» ويقولون : هلا وضعت هذه اللبنة، «قال فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين»[29].

فالقرآن المجيد يعلن عن الختم في سياق الانفتاح والامتداد في الزمان والمكان، ويحث على الانخراط في الأحداث لصناعتها، وإن لم يكن فلترشيدها وتصويبها، بدل المكث على هوامشها وانتظار ما ستؤول إليه الأوضاع. وكان النبي صلى اللّٰه عليه وسلم وهو في مكة والمدينة، يبشر أصحابه بمستقبل الدين الكبير، ويرسل الرسل إلى الآفاق ولا يترك مناسبة حوار أو تواصل أو تعاون وتكامل في حق إلا بادر إليها.

ثم إن القرآن الكريم وهو يقرر مظاهر التحريف والتبديل والكتمان والإخفاء وإلباس الحق بالباطل، عند أهل الكتاب إبرازاً لحقائق تاريخية، نجده يدعو بموازاة ذلك إلى مدّ جسور التواصل معهم ﴿ **قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم** ﴾[30]، ويأمر بجدالهم بأحسن الطرق وأمثلها ﴿ **ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن** ﴾[31]، بل يذهب إلى أكثر من هذا عندما يُلجئ أهل الكتاب إلى تحكيم الحق الموجود في كتبهم إن لم يسعهم اتباع شرع النبي الجديد: ﴿ **وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم اللّٰه** ﴾[32]،

---

(28) سورة المائدة، الآية : 3 .

(29) رواه البخاري عن أبي هريرة وضي الله عنه

(30) سورة آل عمران، الآية : 64.

(31) سورة العنكبوت، الآية : 46.

(32) سورة المائدة، الآية : 43.

﴿ **وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل اللَّه فيه** ﴾[33]. كلّ ذلك بأسلوب حجاجي برهاني ترغيبي لا ترهيبي، وتقريبي لا إقصائي، إلاَّ أن يكون الإعراض والصدود الكامل من الجهة المقابلة فحينها يكون إعلان ﴿ **اشهدوا بأنا مسلمون** ﴾[34]، ﴿**ولكم دينكم ولي دين**﴾[35]. وهذه حالة لم نصلها بعد، لأننا في عصرنا الراهن لم ننجز التجربة بعد. ونأمل أن يكون تبني علماء الأمة لمبادرة خادم الحرمين الشريفين للحوار بين أتباع الأديان والثقافات، خطوة في هذا الاتجاه.

ولمزيد من البيان يكفي التأمل في بعض الآيات القرآنية الكريمة وتدبّر معانيها، ففي سورة المائدة مثلا نجد حديثاً محكماً يعكس في سياق تسلسلي بديع تتابع هداية الوحي ونوره في الرسالات السماوية وتصديق بعضها لبعض، مع خصوصيات كل رسالة بحسب تعامل أهلها معها، وبحسب منطق الاصطفاء الحصري أو الكوني الشامل، دون أن يعني ذلك إلغاء إحداها للأخرى.

يقول اللَّه تعالى مخبراً وموجّهاً رسوله الكريم بخصوص الطائفة من اليهود التي تريد تحكيمه: ﴿ **فإن جاؤوك فاحكم بينهم أو أعرض عنهم، وإن تعرض عنهم فلن يضروك شيئاً، وإن حكمت فاحكم بينهم بالقسط إنَّ اللَّه يحب المقسطين، وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم اللَّه، ثم يتولّون من بعد ذلك وما أولئك بالمؤمنين، إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار، بما استحفظوا من كتاب اللَّه وكانوا عليه شهداء** ﴾[36].

ثم يستطرد القرآن بعد ذلك متحدثاً عن عيسى بن مريم والإنجيل : ﴿ **وقفينا على آثارهم بعيسى بن مريم مصدقاً لما بين يديه من التوراة، وآتيناه الإنجيل فيه هدى ونور، ومصدقاً لما بين يديه من التوراة وهدى وموعظة للمتقين، وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل اللَّه فيه، ومن لم يحكم بما أنزل اللَّه فأولئك هم الفاسقون** ﴾[37]وبعدها مباشرة نجد قوله تعالى: ﴿ **وأنزلنا إليك**

(33) سورة المائدة، الآية :47.

(34) سورة آل عمران، الآية : 64.

(35) سورة الكافرون، الآية : 6.

(36) سورة المائدة، الآيات : 42–44.

(37) سورة المائدة، الآيتان : 46 –47.

الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه، فاحكم بينهم بما أنزل اللّه ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً ولو شاء اللّه لجعلكم أمة واحدة ولكن ليبلوكم فيما آتاكم فاستبقوا الخيرات إلى اللّه مرجعكم جميعاً فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون﴾[38].

تتحدث الآيات عن الكتاب، الكامل المصدق والمهيمن والمعرف بألف لام التعريف، وقد ذكر قبل ذلك التوراة والإنجيل كل باسمه. كما تتحدث عن كونه الحق الذي أنزل إليه والواجب إتباعه، وهو الموجود في أصول الكتب عندهم، وهو ما يشمله القرآن بمقتضى الهيمنة والتصديق، إذ كل ما فيه حق.

وقد أشارت الآيات كذلك إلى أن اللّه تعالى خلق الناس مختلفين ولو شاء سبحانه لجعلهم أمة واحدة، ولذلك ستبقى الأمم والشعوب بأديانها المختلفة قائمة، ولا سبيل إلى ضمان سلام اجتماعها وسلمه وأمان عمرانها وأمنه إلاَّ بالتعايش بينها. فيكون الإيمان فيها مدخلاً لأمان البشرية، والقيم والأخلاق فيها مدخلاً لتربية الإنسان وهديه إلى الخير وتصويبه أفعاله وتقويم اعوجاجه.

وعند الأصوليين قاعدة يقولون فيها إن "شرع من قبلنا شرع لنا ما لم يرد في شرعنا ما يخالفه". وبغض النظر عن الخلاف حولها وخصوصاً ما يستفاد من قوله تعالى : ﴿ **لكلّ جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً** ﴾[39]. أما الآية القرآنية الكريمة: ﴿ **شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه** ﴾[40]، فهي متعلقة بكليات الدين وثوابته وأصوله في التوحيد والنبوة والبعث والمعاد ومكارم الأخلاق، مما دعا إليه كل الأنبياء والرسل وليس بجزئيات وتفاصيل الشرائع.

وتبقى القاعدة تعبيراً عن تتابع التصديق بين الرسالات وعن هيمنة بعضها على بعض، وتأكيد المشترك بين الأديان والتكامل الموجود فيها تباعاً.

---

(38) سورة المائدة، الآية : 48.

(39) سورة المائدة، الآية : 48.

(40) سورة الشورى، الآية : 13.

ولأنّ مبادرة خادم الحرمين الشريفين للحوار ليست موجّهة إلى المسلمين وحسب، وإنما كذلك إلى سائر أتباع الأديان والثقافات، فإن جهود إقناع أتباع الأديان الأخرى بجدوى الحوار وإيجابياته تبقى من أهم ما ينبغي التركيز عليه، بخاصة وأن كتبهم الدينية تقر الحوار والتعايش بين الملل، ويمكن أن نمثّل في هذا الصدد، بنماذج من النصوص في العهدين القديم والجديد بخصوص بعض الأحكام المشتركة مما تواتر في سائر الأديان السماوية، ويصلح أرضية لمواجهة مخاطر وتحديات اجتماعية وإنسانية وطبيعية خطيرة أفرزها التطور الصناعي والتقني السريع اللاهث وراء المتع والملذات، بما في ذلك من قتل للنفس بغير حق واستشراء للفساد من كذب وزور وهتك أعراض وسوء علاقة بين أرباب الديانات وعدم توقير الأديان والأنبياء والرسل، وما إلى ذلك.

- ففي سفر الخروج، جاء في الوصايا العشر(41).
- "ثم تكلم الربّ بجميع هذه الكلمات قائلاًأنا الربّ إلهك الذي أخرجك من أرض مصر من بيت العبودية. لا يكن لك آلهة أخرى أمامي (....) لا تسجد لهن ولا تعبدهن" (...).
- لا تنطق باسم الرب إلهك باطلاً لأن الرب لا يبرئ من نطق باسمه باطلاً (...).
- أكرم أباك وأمك لكي تطول أيامك على الأرض التي يعطيك الرب إلهك. لا تقتل، لا تزن، لا تسرق، لا تشهد على قريبك شهادة زور، لا تشته بيت قريبك، لا تشته امرأة قريبك ولا عبده ولا أمته ولا ثوره ولا حماره ولا شيئاً مما لقريبك(42).
- في سفر الخروج كذلك(43).

لا تقبل خبراً كاذباً، لا تضع يدك مع المنافق لتكون شاهد ظلم، لا تتبع الكثيرين إلى فعل الشر، لا تجب في دعوى مائلاً وراء الكثيرين للتحريف (....) ابتعد عن كلام الكذب، ولا تقتل البريء والبار، لأني لا أبرر المذنب، ولا تأخذ رشوة لأن الرشوة تعمي المبصرين وتعوج كلام الأبرار، ولا تضايق الغريب فإنكم عارفون نفس الغريب، لأنكم كنتم غرباء في أرض مصر.

(41) إ. 1/2–17.

(42) ينبغي التنويه إلى أن الوصية العاشرة لا تندرج في إطار ما هو مشترك بين الأديان، وهي: "أذكر يوم السبت لتقدسه.. لأنه في ستة أيام صنع الرب السماوات والأرض والبحر وكل ما فيها واستراح في اليوم السابع".

(43) إ. 23/10 –9.

- وفي إنجيل متى:
- " إن أردت[44] أن تدخل الحياة[45] فاحفظ الوصايا. قاله له : أية وصايا. فقال يسوع: لا تقتل، لا تزن، لا تسرق، لا تشهد بالزور، أكرم أباك وأمك وأجد قريبك كنفسك"[46].
- وفي إنجيل متى كذلك[47]:
- "وأما أنت فمتى صنعت صدقة فلا تعرف شمالك ما تفعل يمينك لكي تكون صدقتك في الخفاء".
- ومتى صليت فلا تكن كالمرائين فإنهم يحبون أن يصلوا قائمين في المجامع وفي زوايا الشوارع لكي يظهروا للناس.
- ومتى صمتم فلا تكونوا عابسين كالمرائين فإنهم يغيرون وجوههم لكي يظهروا للناس صائمين.
- لا تكنزوا لكم كنوزاً على الأرض حيث يفسد السوس والصدأ وحيث ينقب السارقون ويسرقون لأنه حيث يكون كنزك هناك يكون قلبك أيضاً.
- وفي إنجيل متى أيضاً[48] :
- "لا تظنوا أني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء، ما جئت لأنقض بل لأكمل. فإني الحق أقول لكم إلى أن تزول السماء والأرض لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكل. فمن نقض إحدى هذه الوصايا الصغرى وعلم الناس هكذا يدعى أصغر في ملكوت السموات. وأما من عمل وعلم فهذا يدعى عظيماً في ملكوت السموات" (...).
- قد سمعتم أنه قيل للقدماء لا تقتل، ومن قتل يكون مستوجب الحكم، وأما أنا فأقول لك إن كل من يغضب على أخيه باطلاً يكون مستوجب الحكم (...).

(44) الكلام موجه إلى الشاب الذي جاء يسأل المسيح.

(45) يقصد الحياة الأبدية.

(46) إ. 17-19-20.

(47) إ. 3/6-23.

(48) إ. 17/5-48.

- قد سمعتم أنه قيل للقدماء لا تزن. وأما أنا فأقول لكم إن كل من ينظر إلى امرأة ليشتهيها فقد زنى بها في قلبه (...).
- أيضاً قد سمعتم أنه قيل للقدماء لا تحنث، بل أوف للرب أقسامك. وأنا أقول لكم لا تحلفوا ألبتة (...).
- سمعتم أنه قيل عين بعين وسن بسن، و أما أنا فأقول لكم لا تقاوموا الشر، بل من لطمك على خدك الأيمن فحول له الآخر أيضاً. ومن أراد أن يخاصمك ويأخذ ثوبك فاترك له الرداء أيضاً، ومن سخرك ميلاً واحداً فاذهب معه اثنين. من سألك فأعطه ومن أراد أن يقترض منك فلا ترده.
- سمعتم أنه قيل تحب قريبك وتبغض عدوك، وأما أنا فأقول لكم أحبوا أعداءكم، باركوا لأعينكم، أحسنوا إلى مبغضيكم (...).
- وجاء في إنجيل متى أيضاً[49]:
- "ثم أخذه إبليس إلى المدينة المقدسة وأوقفه على جناح الهيكل، وقال له، إن كنت ابن اللَّه فاطرح نفسك إلى أسفل، لأنه مكتوب أنه يوحي ملائكته بك. فعلى أيديهم يحملونك لكي لا تصدم بحجر رجلك.

فقال له يسوع مكتوب أيضا لا تجرب الرب إلهك، ثم أخذه أيضاً إبليس إلى جبل عال جدا وأراه جميع ممالك العالم ومجدها، وقال له أعطيك هذه جميعها إن خررت وسجدت لي، حينئذ قال له يسوع اذهب يا شيطان، لأنه مكتوب للرب إلهك تسجد وإياه وحده تعبد، ثم تركه إبليس وإذا ملائكة قد جاءت فصارت تخدمه".

وهذا ما استوعبته آيات قرآنية كثيرة من مثل قوله تعالى: ﴿ **قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا تقتلوا النفس التي حرم اللَّه إلا بالحق ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون**﴾[50].

(49) إ. 5/4-11.

(50) سورة الأنعام، الآية : 51

﴿واعبدوا اللّه ولا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً وبذي القربى واليتامى والمساكين والجار ذي القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت أيمانكم إن اللّه لا يحب من كان مختالاً فخوراً﴾[51].

﴿والذين لا يدعون مع اللّه إلهاً آخر ولا يقتلون النفس التي حرم اللّه إلاَّ بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاماً﴾[52].

ومثل هذا كثير لو تتبعناه في سائر النصوص الدينية يدل دلالة قاطعة على صدور الأديان عن مشكاة واحدة. كما يبقى التدين في نهاية المطاف فطرة بشرية جبل الإنسان عليها ولا سبيل للحياد عنها إلا بضرب من الانحراف عن مقتضى الفطرة إلى اعتقاد شيء آخر بديل. وإذا كان التدين فطرة إنسانية فإن التعارف سنة اجتماعية إنسانية كذلك، لمقتضى الاختلاف الذي خلق عليه البشر والتنوع في الكائنات والمخلوقات مما يقتضي معرفة ممكِّنة من إقامة صرح التعارف، وتلك لا يوفرها إلا مرجع مطلق مهيمِن ومستوعِب هو الدين في صورة تمامه واكتماله، وإن كانت كل الأديان قادرة على القيام بدور من تلك الأدوار إن لم يكن كلها.

وتحتاج الجهود الرامية إلى تفعيل مضامين "**مبادرة خادم الحرمين الشريفين للحوار بين أتباع الأديان والثقافات**" وتحقيق أهدافها، إلى الاستفادة من المبادرات السابقة عليها أو الموازية لها، وبخاصة جهود دولة قطر في مجال الحوار بين الأديان، والتي توجت بتأسيس مركز الدوحة الدولي لحوار الأديان وتميزت بعقد مؤتمر دولي سنوي للحوار بين الأديان[53]، وتمخضت عن دوراته المتعاقبة نتائج مهمة ينبغي استثمارها والبناء عليها. كما ينبغي الاستفادة من نتائج عمل أمانة تحالف الحضارات التابعة للأمم المتحدة، سواء فيما يتعلق بالمؤتمرات التي عقدتها أو بالاستراتيجيات الدولية والإقليمية التي وضعتها، والتي أقرها المنتظم الدولي بعد تعديلها عقب مناقشات ومشاورات بين الدول الأعضاء في الأمم المتحدة والمنظمات والهيئات الدولية المعنية، وفي مقدمتها المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة ـ إيسيسكو ـ، التي تعد شريكاً متميّزاً لأمانة تحالف الحضارات، سواء بجهودها في صياغة استراتيجيات تحالف

(51) سورة النساء، الآية : 36.

(52) سورة الفرقان، الآية : 68.

(53) عقدت الدورة التاسعة للمؤتمر في أكتوبر سنة 2011م، وتأسّس مركز الدوحة لحوار الأديان في شهر مايو سنة 2007م.

الحضارات، أم بدورها في تفعيلها وفي إسماع صوت العالم الإسلامي في المنتديات والملتقيات الدولية ذات الصلة. فتجربة الإيسيسكو تتميز بكونها شريكاً دولياً فاعلاً للهيئات والمنظمات الدولية ذات العلاقة بموضوع الحوار بين الأديان والثقافات والحضارات، وفي مقدمتها منظمة اليونسكو وأمانة تحالف الحضارات. وقد أسهمت في تفعيل العديد من المبادرات الدولية في هذا الإطار، وفي وضع التصورات والبرامج للتعامل مع موضوع الحوار، إدراكاً منها لأهمية الحضور الوازن في المنتديات الدولية حول الحوار بين الأديان والثقافات والحضارات، وإيماناً بأن الحوار هو خير وسيلة لتحقيق التعارف بين الشعوب وإزالة أسباب سوء الفهم بينها وتصحيح صورة ثقافاتها وحضاراتها وتعزيز المشترك الإنساني. وكان للإيسيسكو دورها الفاعل في بلورة مفهوم متكامل ومتوازن للحوار يكون التعارف بين أتباع الأديان والثقافات والحضارات أحد ركائزه الأساس وأهدافه السامية.

ويستند الحوار في رؤية الإيسيسكو، إلى أسس ثابتة، وضوابط محكمة، ويقوم على منطلقات ثلاثة هي: الاحترام المتبادل، والإنصاف والعدل، ونبذ التعصب والكراهية والمركزية الحضارية أو الدينية.

وانطلاقاً من رؤية الإيسيسكو إلى الحوار بين أتباع الأديان والثقافات المؤسَّس على المعرفة والاعتراف والمفضي إلى التعارف والتآلف ثم التحالف، واستناداً إلى مفهومه الحضاري الذي أسهمت الإيسيسكو في تأصيله، فإن الحوار الذي يحقق الأهداف الإنسانية العامة ويعزّز المصالح والقيم المشتركة، والذي يمكن أن يكون موضع الاهتمام من العالم الإسلامي، لابد وأن تتوفر فيه الشروط التالية:

1. أن يكون الحوار متكافئاً، تتوفر فيه شروط المساواة والندية والإرادة المشتركة، وأن تتعدد مستوياته وتتفاوت درجاته، بحيث يكون حواراً شاملاً، يدور مع مختلف الفئات والشرائح، على المستوى الحكومي، وعلى صعيد المنظمات الأهلية والمؤسسات الفكرية والعلمية والتربوية والثقافية ذات العلاقة بالقضايا والمجالات التي تحدَّد لهذا الحوار.

2. أن يكون الحوار منضبطاً بسلطة المعرفة وقيم التعارف ومبادئ الاعتراف. فالمعرفة كفيلة بتصحيح الصور النمطية المتبادلة بين الشعوب التي أنتجها الجهل بالآخر رغم الثورة التقانية والتطور الهائل في إمكانات الاتصال

والتواصل التي كان يفترض أن تقرّب بين الشعوب وتعزز التعارف بينها، والاعتراف بالتنوع والتعدد وبحق "الآخر الحضاري" في الاختلاف بعيداً عن عقد المركزية الحضارية ونزعات الإقصاء والإلغاء. فذلك هو الضمانة الحقيقية لتحقيق أهداف الحوار، والتعارف بناء على المعرفة والاعتراف، وهو السبيل إلى تحقيق التعايش السلمي وتعزيز المشترك الإنساني.

3. أن يهدف الحوار إلى تحقيق منافع مشتركة للأطراف المتحاورة، وأن يؤدي إلى تأمين المصالح التي تحرص عليها، والتي لها صلة بالتقدم في مجالات الحياة ثقافياً وعلمياً، اقتصادياً واجتماعياً، وأن يسعى إلى محاربة الظلم والعدوان على الشعوب والأمم، وأن يعمل على إزالة أسباب الصراعات التي يذهب ضحيتها الأبرياء، بحيث يكون لهذا الحوار تأثير على مجمل العلاقات بين المسلمين وغير المسلمين ويحقق التعاون بينهم، ويعود بالنفع والفائدة على الجميع.

4. أن يكون الحوار متحضراً، ومترفعاً عن الموضوعات التي هي مثار اختلافات دائمة لا سبيل إلى إزالتها، إلا بتنازل طرف للطرف الآخر عن أحد ثوابته العقدية، بحيث يقع تجنب المسائل ذات الحساسية الفائقة التي من شأنها إذا ما أثيرت في الحوار، أن تؤدي إلى إيقافه، أو التأثير على إيجابيته.

5. أن يسير الحوار في خطوط متوازية ووفق برامج معدَّة مسبقاً، فلا يتوقف الحوار في هذا الاتجاه حول موضوع معين، ريثما تظهر النتائج المترتبة على الحوار السائر في الاتجاه الثاني، وإنما تترابط حلقات الحوار وتتداخل الاتجاهات فيما بينها، وصولاً إلى التكامل بين الأهداف المتوخاة والتعارف بين الحضارات.

فإذا توفرت هذه الشروط وسار الحوار في هذه الاتجاهات، أمكن الوصول إلى نتائج إيجابية تعلي من شأن القيم الإنسانية المشتركة، وتعزز مبادئ التعايش بين الناس كافة، وتحقق التعارف بينهم، وتدعم العلاقات الدولية وتقوِّيها، وتسهم في إقرار الأمن والسلم والاستقرار في العالم.

وكما أن تحقيق الغايات السامية التي جاءت بها مبادرة خادم الحرمين الشريفين للحوار بين أتباع الأديان والثقافات، رهين بتحقيق هذه الشروط، فهو مشروط كذلك باتخاذ تدابير عملية ووضع آليات تنفيذية تضمن التطبيق العملي

والفعال لتوصيات هذه الوثيقة، وتكفل التفعيل المستدام لمبادرة خادم الحرمين الشريفين وتحقق أهدافها الإنسانية. وفي هذا الإطار يتعين القيام بما يلي:

- إنشاء هيئة إسلامية عليا للحوار، تتشكل من العلماء والمفكرين والإعلاميين والباحثين، تقوم بدور استشاري للمركز العالمي للحوار بين أتباع الأديان والثقافات المقرر إنشاؤه في فيينا، وتشكيل مجلس حكماء تمثل فيه الأديان والثقافات المعتبرة، وبعضوية الهيئة الإسلامية العليا للحوار، ويكون بمثابة جمعية عمومية أو مؤتمر عام للمركز.

- إحداث جائزة عالمية للحوار "جائزة مكة للحوار" على غرار جائزة نوبل للسلام، وتخصيص جوائز للتميز ومنح تقديرية للمؤسسات والأفراد بهدف تشجيعهم على توجيه اهتمامهم نحو تقديم إسهامات فكرية متميّزة، أو إنتاجات إعلامية تخدم جهود التقريب بين الشعوب وترسخ قيم الحوار بين أتباع الأديان والثقافات وتحقق أهدافه.

- استثمار الفرص التي تتيحها الثورة التقانية ووسائل الإعلام والاتصال من أجل الترويج للمبادرة على أوسع نطاق، وإنشاء قناة فضائية للحوار وموقع إلكتروني تفاعلي للتعريف بالمبادرة والترويج لمضامينها وأهدافها، والعمل على فتح نقاش عالمي حول سبل تفعيلها، وبخاصة بين الشباب، على القناة الفضائية للحوار والموقع الإلكتروني للمبادرة وعبر وسائل الاتصال الجماهيري وشبكات التواصل الاجتماعي وكل منابر الإعلام ووسائط الاتصال والتواصل المتاحة.

- التواصل مع الإعلاميين المؤثرين في صناعة الرأي العام، وبخاصة كتاب الافتتاحيات والأعمدة والمقالات في الصحف الغربية المشهورة، ومقدمي البرامج التي تحظى بنسب متابعة عالية، وإقامة برامج زيارات متبادلة بينهم وبين نظرائهم في العالم الإسلامي، والعمل على إقناعهم بجدوى مبادرة خادم الحرمين الشريفين للحوار وقدرتها على تعزيز التعايش السلمي وتحقيق السلم العالمي.

- حثّ المثقفين، والكتاب الصحافيين، والشباب المدونين، والفنانين، والسينمائيين، والناشرين، والمراكز الثقافية، والمنظمات الكشفية، والمؤسسات الرسمية،

والقطاع الخاص، والمؤسسات الأهلية، ومنظمات المجتمع المدني، على الانخراط في جهود التعريف بمبادرة خادم الحرمين الشريفين للحوار، وتفعيل مضامينها بالتنسيق مع نظرائهم من أتباع الأديان والثقافات الأخرى، لما فيه المصلحة العامة للإنسانية جمعاء.

- تشجيع السياحة الثقافية البينية وتنظيم قوافل ومعارض ومخيمات ثقافية وإقامة متاحف مشتركة بين أتباع الأديان والثقافات، لتحقيق التواصل الثقافي والتعريف بالتعددية الثقافية والقيم الإنسانية المشتركة وبإسهام كلّ الثقافات في مسيرة الحضارة الإنسانية، بما يكفل تغيير الصور النمطية المتبادلة بين الشعوب ويضيق الهوة بينها ويعزز الوعي بأهمية التنوع والتعدد والاختلاف في إرساء دعائم البناء الحضاري الإنساني وإغناء الرصيد الثقافي المشترك.

- إقامة شراكات مع دور النشر العالمية الكبرى لنشر إصدارات محكّمة حول الحوار بين أتباع الأديان والثقافات وترجمة روائع الإبداعات وأمهات المؤلفات في كل الثقافات الإنسانية إلى مختلف اللغات الحية، والتعاون بين مفكرين وإعلاميين وسينمائيين وباحثين من مرجعيات ثقافية مختلفة، من أجل إنتاج مواد إعلامية وبرامج إذاعية وتلفزية وأشرطة وثائقية وأفلام سينمائية ونشر صحف ومجلات إلكترونية ثقافية عن ثقافة (الآخر) وتاريخه وحضارته، لتصحيح المعلومات الخاطئة عنه والتعريف بالقيم والمبادئ المشتركة بين الأديان والثقافات.

- تعزيز برامج الشراكة والتبادل والتعاون بين المؤسسات التربوية، والمدارس والجامعات الصيفية، وتنظيم أنشطة ثقافية ومخيمات ترفيهية ومسابقات علمية ورياضية ومهرجانات فنية ورحلات استكشافية مشتركة لتلاميذ المدارس وطلاب الجامعات من أتباع مختلف الأديان والثقافات، بما يحقق التعارف بينهم ويعزز الحوار بين أتباع الأديان والثقافات.

- تفعيل دور الجامعات في تعزيز الحوار بين أتباع الأديان والثقافات عبر تبادل البعثات الطلابية والزيارات الميدانية والخبرات العملية بين أساتذتها وطلابها وإعداد البحوث والدراسات وإنشاء الكراسي والتخصصات العلمية

التي تعنى بدراسة ثقافة (الآخر) بمنهاج علمي مترفع عن الأفكار المسبقة والخلفيات التاريخية والصور النمطية، وجعل تصحيح صورة ثقافة (الآخر) من أهم بنود اتفاقيات الشراكة والتوأمة الموقعة بينها وأهدافها، والاستفادة في هذا الإطار من الفرص التي تتيحها اختصاصات الاتحادات الجامعية الكبرى كالاتحاد العالمي للجامعات، واتحاد جامعات العالم الإسلامي، واتحاد الجامعات الأوروبية، واتحاد الجامعات والكليات الأمريكية الدولية، واتحاد الجامعات العربية، والجامعة الأورومتوسطية.

- ❖ دعم مراكز البحوث العلمية الدولية الموضوعية التي تعنى بالدراسات الحضارية وتشتغل بقضايا التواصل بين الشعوب والعلاقات بين أتباع الأديان والثقافات، وإبرام اتفاقيات شراكة معها بشأن إعداد بحوث ودراسات مشتركة ونشرها وعقد مؤتمرات وندوات علمية والترويج الإعلامي لها والتعريف بنتائجها ونشر أعمالها.

- ❖ تطوير السياسات الثقافية في العالم الإسلامي لضمان الاندماج الفعلي والفاعل لبلدانه في مجتمع المعرفة، وإيلاء الثقافة المكانة اللائقة بها وتوفير الموارد المالية الكافية لها بوصفها ركيزة أساساً في مسلسل التنمية المستدامة ومشروع النهوض الحضاري، ورعاية المواهب والكفاءات والطاقات الإبداعية وتمكينها من سبل تحقيق طموحاتها وتطلعاتها، واستثمارها في تقديم الوجه المشرق للثقافة الإسلامية، وإحاطتها بالعناية اللازمة وتوجيهها نحو المسار الذي يكفل خدمة أمتها والتعريف بدينها وقيمها وثقافتها، من قبيل تأهيلها للاندماج في مراكز البحث والتفكير ذات التأثير في صناعة القرار السياسي، أو في المنابر الإعلامية المؤثرة في صناعة الرأي العام الدولي وتشكيل وعيه الجمعي عن الإسلام والمسلمين.

- ❖ إدراج مضامين مبادرة خادم الحرمين الشريفين للحوار ضمن محاور برنامج الاحتفاء بعواصم الثقافة الإسلامية الذي تشرف عليه المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، والتنسيق مع الاتحاد الأوروبي وأجهزته المختصة من أجل إدراجها ضمن محاور برنامج الاحتفاء بعواصم الثقافة الأوروبية.

- ❖ توجيه مزيد من الاهتمام إلى دور الثقافة والتربية في إرساء علاقات سوية بين أتباع الأديان والثقافات مبنية على أسس العلم والمعرفة والاحترام

المتبادل، وذلك عبر إعداد مواد تربوية للمدرسين والتلاميذ ودلائل توجيهية لمؤلفي الكتب المدرسية عن دين "الآخر" وقيمه وثقافته وحضارته وتاريخه، وتفعيل توصيات هذه الوثيقة بعقد مؤتمرات دولية وندوات علمية ومنتديات ثقافية وحلقات دراسية ودورات تدريبية إقليمية ووطنية وإعداد بحوث ودراسات مرجعية لترجمة مضامين مبادرة خادم الحرمين الشريفين للحوار، إلى واقع ملموس عبر الاستثمار في مجالات التربية والعلوم والثقافة والاتصال، والعمل في هذا الإطار على الاستفادة من خبرة المنظمات والهيئات والمؤسسات الدولية والإقليمية المختصة، وفي مقدمتها المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة ـ إيسيسكو ـ.

إنَّ تحقيق الأهداف النبيلة لمبادرة خادم الحرمين الشريفين للحوار بين أتباع الأديان والثقافات، رهين بالعمل والتعاون الدولي على المستوى السياسي والثقافي والعلمي، الحكومي والأهلي، على تعزيز الاحترام المتبادل وإغناء الرصيد الثقافي المشترك، والقيم الإنسانية المشتركة، والمصالح المشتركة، والإقرار بضرورة احترام الخصوصيات والاعتراف بقيم التعددية والتنوع الثقافي، كما أنه رهين بإشاعة روح التآخي والتضامن الإنساني، والعمل على إعادة هندسة المخاييل الجمعية وتفكيك الصور النمطية المتبادلة بين الشعوب، حتى يتأسس التعارف بينها على المعرفة الحقيقية، وحتى يكون التفاهم بينها ثمرة للفهم والتفاهم، وهو ما لن يتأتى إلاَّ عبر الاستثمار في الثقافة والتربية، وذلك بعقد مؤتمرات فكرية وعلمية تضع آليات لتفعيل مبادرة خادم الحرمين الشريفين وتقوّم جهود تفعيلها، والقيام بمبادرات هادفة من قبيل تعزيز منتديات الحوار بين أتباع الأديان والثقافات والحضارات، وتوجيه المنظومات التربوية والسياسات الثقافية، إلى إقرار التنوع والتعدد واحترام الاختلاف، وبناء علاقات متينة مبنية على الثقة المتبادلة بين الشعوب لتحرير العقول من إسار الصور النمطية والتصورات الذهنية.

إنَّ مبادرة خادم الحرمين الشريفين للحوار بين أتباع الأديان والثقافات، فرصة لتقديم الصورة المثلى للفكر الإسلامي الوسطي والوجه الحقيقي للثقافة الإسلامية، وتحويله إلى ثقافة معيشة في حياة المسلمين، وصوت يعبّر عنهم، وطرف محاور وفاعل ومتفاعل ومتعارف مع الكيانات الحضارية الأخرى. ولا شك أن المؤتمر الإسلامي السابع لوزراء الثقافة كان مناسبة لحشد تأييد الدول الأعضاء لهذه المبادرة، وتكوين

هيئة عليا من العلماء والمفكرين والإعلاميين المسلمين تعمل تحت إشراف الإيسيسكو بوصفها بيت خبرة العالم الإسلامي في مجالات التربية والعلوم والثقافة والاتصال، وتكون بمثابة مجلس للخبراء وهيئة استشارية للمركز العالمي للحوار بين أتباع الأديان والثقافات[54]، على أن يتركز عملها على دراسة السبل الكفيلة بتفعيل توصيات هذه الوثيقة بغرض تحقيق أهداف مبادرة خادم الحرمين الشريفين وتعزيز المشترك الإنساني، وتقوية دعائم العلاقات السلمية بين الشعوب وإيجاد شروط نجاح مشروع الحوار بين أتباع الأديان والثقافات، وهو ما لن يتم إلاَّ بالانفتاح الواعي على النماذج الحضارية والأنساق الثقافية المختلفة إعماراً للأرض وإعلاءً لصروح الحضارة، وتعزيزاً للمشترك الإنساني، في تفاعل مع الوحي المرشِّد والمسدّد بمنهاج الاستمداد الموفِّق بين النقل والعقل والواقع، وفي اتساق بين الآيات القرآنية والكونية، بما يصحح العلاقة مع الذات في سعيها إلى النهوض الحضاري ومع الآخر في علاقتها بالحوار الديني والثقافي.

(54) تأسَّس هذا المركز في ڤيينا. انظر الهامش (17)، الصفحة 21.